جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

كلية الدراسات العليا

معهد العلوم والبحوث الإسلامية

قسم التفسير وعلوم القرآن

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير بعنوان:

استدراكات ابن كثير على ترجيحات ابن جرير من خلال تفسير القرآن العظيم

إعداد الطالب: يوسف محمود محمد على

إشراف الدكتور: عبد الصمد على عبد الصمد

جمادي الأول1440هـ / فبراير 2019

قال تعالى: "بسم الله الرحمن الرحيم"[1]

[1] سورة الفاتحة: الآية 1.

استهلال

قال تعالى

بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ

سورة العنكبوت الآية 49

إهداء :

أهدي هذا البحث إلى أمي وأبي اللذين هما سر سعادتي ونور بهجتي رب ارحمهما كما ربياني صغيرا. وإلى أشقائي: هاشم وعثمان وعبد السلام وطه، وإلى زوجتي العزيزة.

شكر وعرفان:

الشكر لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا، فهو أهل الثناء والمجد، وهو القائل سبحانه:" وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد"[2]

ثم الشكر إلى أهل الفضل أخص بالشكر جامعة السودان للعلوم والتكنلوجيا ذلك الصرح الشامخ ممثلا في معهد العلوم والبحوث الإسلامية، ثم الشكر إلى الدكتور/ عبد الصمد على عبد الصمد مشرفي في هذا البحث فقد بذل لي من النصح والارشاد ماظهر به هذا البحث في حلته فجزاه الله خيرا.

والشكر لأساتذتي بجامعة الخرطوم البروفيسور/فيروز عثمان صالح، والدكتور/ محمد حبيب الله، اللذين قاما برعاية بحثي منذ أن كان فكرة.

ثم الشكر للعم إدريس محمد على، وأبنائه إسماعيل، وأبوأسامة، وعبد الكريم.

ثم الشكر لشيخي وصديقي آدم صالح سلل الذي شد من أزري لإكمال هذا البحث.

والشكر لزملائي رفقاء الدرب: حسن حمدون/ فرح عبد السلام/ مصعب عبد الكريم/محمد زين العادين/ جعفر إدريس. فجزاهم الله خير الجزاء.

[2] سورة ابراهيم: الآية 7.

مستخلص:

تناولت في هذا البحث استدراكات ابن كثير على ترجيحات ابن جرير من خلال تفسير القرآن العظيم، قمت بدراسة جميع المواضع التي استدرك فيها ابن كثير على ترجيحات ابن جرير، وانتهجت فيها أن أذكر موضع الشاهد ثم تحرير نقطة الخلافة، ثم أذكر الآثار الواردة في الآية مع دراستها من الناحية الحديثية، ثم أورد حجة ابن جرير وحجة ابن كثير، وأقوم بتوجيه قوليهما،وأختم بالخلاصة.ومماتوصلت إليه:

1/عدد ترجيحات ابن جرير التي استدرك عليها ابن كثير أربعون موضعا.

2/ لم يسهو ابن كثير في نقله لترجيحات ابن جرير إلا في موضع واحد.

3/ ترجيحات ابن جرير التي يخالفه فيها ابن كثير أقل بالنسبة للتي يوافقها فيه.

Abstract:

I have tackled in this research the emendations of Ibn-Katheer over the preponderances of Ibn-Jareer through their interpretation of the Holy Quran.

I have adopted the method of following all the points where Ibn-Katheer rectified the preponderances of Ibn-Jareer; stating the point of difference and then redeeming it with the evidence stated in the verses of the Holy Quran; studying it from the perspective of the Prophetic Teachings (Hadeeth AL-Shahreef), pointing out the power of proof of both Ibn-Katheer and Ibn-Jareer, validating their statements and ending with the conclusion.

The following are my findings:

1- The number of Ibn-Jareer's emendations, which Ibn-Katheer redressed, is forty.
2- Ibn-Katheer did not oversee in his copying of Ibn-Jareer's preponderances except in one point.
3- The emendations in which Ibn-Jareer disagreed with Ibn-Katheer are less in relation to those he agreed with.

مقدمة :

الحمد لله الذي كان بعباده خبيرا بصيرا وأشهد ألا إله إلا الله وحده لاشريك له إقرارا به وتوحيدا وأصلى وأسلم على من بعثه الله إلينا هاديا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا مزيدا وبعد:

أشرف علم يسعى العبد لخدمته هو تفسير القرآن الكريم، لأن شرف العلوم بشرف المعلوم، فلما كانت خدمة كتابه بهذه المنزلة إصطفي الله لها خيرة خلقه لمافي حديث عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" خيركم من تعلم القرآن وعلمه"[3] وممن اختارهم الله بخدمة كتابه الإمامين شيخ المفسرين ابن جرير الطبري والحافظ ابن كثير الدمشقي لأنها درر مكنونة فيها فوائد حسان وقلائد ثمان، فاخترت موضوع بحثي بعنوان :استدراكات ابن كثير على ترجيحات ابن جرير من خلال تفسير القرآن العظيم.

فقسمت البحث إلى ثلاثة فصول، الفصل الأول: التعريف بالإمامين. وقسمته إلى ثلاثة مباحث. المبحث الأول: التعريف بالإمام ابن جرير. المبحث الثاني: التعريف بالإمام ابن كثير. المبحث الثالث: منهج الإمامين. أما الفصل الثاني: استدراكات على ترجيحات علوم القرآن، وقسمته إلى ثلاثة مباحث. المبحث الأول: الناسخ والمنسوخ، المبحث الثاني: أسباب النزول، المبحث الثالث: القراءات. أما الفصل الثالث: استدركات على ترجيحات علم التفسير. المبحث الأول: اختلاف دلالات الألفاظ ، المبحث الثاني: اختلاف دلالات المعاني، المبحث الثالث: اللغة العربية. راجبا الله العلى القدير أن يوفقنى لما يحب ويرضى وأن يأخذ بناصيتى على البر والتقوى وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

[3] صحيح البخاري، رقم الحديث 4639، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، م ح:محمد زهير ناصر، الناشر: دار طوق النجاة، ط: الأولى، 1422هـ، ج6، ص192.

مشكلة البحث:

ماهية الوسائل والضوابط والقواعد والأصول التي نرجح بها بين أقوال المفسرين؟

سبب إختيار الموضوع :

1/ معرفة مناهج الترجيح وقواعد الاستدراك عند المفسرين خاصة عند الإمامين ابن جرير الطبري وابن كثير الدمشقي.

2/الوقوف على منهج الإمامين في التفسير والإستنباط والتحليل والتعليل والتوجيه.

3/معرفة مدى الإتفاق والإختلاف بين الإمامين في قواعد الترجيح والإستدراك.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في مكانة الامامين، وابراز منهجيهما في التفسير والاستنباط، والترجيح والاستدراك.

أهداف البحث:

1/ التعريف بالإمامين ابن جرير وابن كثير ومجهوداتهما في التفسير.

2/عرض جميع المواضع التى استدرك فيها ابن كثير على ترجيحات ابن جرير من خلال تفسير القرآن العظيم

3/دراسة مواضع الإستدراك دراسة محققة.

حدود البحث الموضوعية:

سأتقيد بإستدراكات ابن كثير على ترجيحات ابن جرير وأغض الطرف عما سواها من الإستدراكات كإستدراكات ابن كثيرعلى ابن جرير في بعض الأقوال التي لم يرجحها بل ذكرها فقط .

منهجي في البحث:

سأعتمد في بحثي على المنهج التحليلي الموضوعي والتاريخي، وفي هذا الإطار سأتبع الخطوات التالية في البحث وأجعلها لي منهجا:

1/تقصي جميع المواضع التي استدرك ابن كثيرمن خلال كتابه تفسير القرآن العظيم ـ على ترجيحات ابن جرير من خلال تفسيرجامع البيان في تأويل آي القرآن ـوعرض هذه الموضع .

2/دراسة هذه المواضع دراسة مفصلة تتضح من خلالها فوائد وعلل ودروس وعبر ثم ذكر رأي الباحث وتعليقه ماأمكن.

3/عزو الآيات إلى مصادرها من حيث السورة ورقم الآية .

4/تخريج الأحاديث والآثار في الآية.

5/ الترجمة لبعض الأعلام.

الدراسات السابقة:

1/ استدراكات ابن كثير على ابن جرير في تفسيره ،مقدمة لنيل درجة الدكتوراه ،الطاب:أحمد عمر عبد الله ،الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ،1405هـ. الفرق بين هذا البحث ودراستي: أني أدرس الاستدراكات على الترجيحات، وهذا البحث يدرس الاستدركات عامة.

2/ استدراكات ابن كثير على ابن جرير في التفسير ،مقدمة لنيل درجة الدكتوراة ،الطالب: على أحمد الأمين النور،جامعة أم درمان الإسلامية ،كلية اصول الدين ،قسم التفسير وعلوم القرآن،سنة:1426هـ ـ2006م، والفرق بين بحثي وهذا البحث أن الباحث كتب عن إستدراكات ابن كثير على ابن جرير في التفـسير وبحثي أضيق منه.

أسئلة البحث:

1/ من هما الإمامين ابن جرير وابن كثير وما مكانتها العلمية ؟

2/هل هناك فرق بين الإمامين في استخدامها لقواعد الترجيح ؟

3/ ماهي الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها طالب العلم خاصة عند النقد والاستدراكات؟

موضوعات البحث:

الفصل الأول: التعريف بالإمامين

المبحث الأول: التعريف بالإمام ابن جرير

المبحث الثاني: التعريف بالإمام ابن كثير

المبحث الثالث: منهج الإمامين

الفصل الثاني: الاستدركات على ترجيحات علوم القرآن

المبحث الأول: الناسخ والمنسوخ

المبحث الثاني: أسباب النزول

المبحث الثالث: القراءات

الفصل الثالث: الاستدراكات على ترجيحات علم التفسير

البحث الأول: اللغة العربية

المبحث الثاني: دلالات الألفاظ

المبحث الثالث: دلالات المعاني

الفصل الأول: التعريف بالإمامين

المبحث الأول: التعريف بالإمام ابن جرير

المبحث الثاني: التعريف بالإمام ابن كثير

المبحث الثالث: منهج الإمامين

اسمه: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الإمام العلم الفرد الحافظ أبو جعفر الطبري أحد الأعلام وصاحب التصانيف، من أهل آمل طبرستان[4].

كنيته: أبو جعفر وهو مايكنى به نفسه ،وينسب إلى أبيه فيقال ابن جرير،أو إلى بلده. والكنية موضوعة لإكرام المدعو بها وإتيان مسرته؛ لأنه لا يتكنى المرء إلا بأحب الكنى إليه، وهو مباح له أن يتكنى بكنيتين إن اختار ذلك[5]

مدينته التى ولد فيها: هي آمُلُ:بضم الميم واللام: اسم أكبر مدينة بطبرستان في السهل، لأن طبرستان سهل وجبل، وهي في الإقليم الرابع، وطولها سبع وسبعون درجة وثلث، وعرضها سبع وثلاثون درجة ونصف وربع. وبآمل تعمل السّجّادات الطبرية، والبسط الحسان، وكان بها أول إسلام أهلها مسلحة في ألفي رجل، وقد خرج منها كثير من العلماء، لكنهم قلّ ما ينسبون إلى غير طبرستان فيقال لهم الطّبريّ، منهم أبو جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ المشهور، أصله ومولده من آمل [6].

وقد سها بعض المؤرخين عندما نسبوا ابن جرير الطبري إلى طبرية وقد ذكر هذا الكلام غير واحد فمنهم أبوعبيد الأندلسي حيث قال :"أامل: بفتح أوّله ومدّه وضمّ الميم: بلد من بلاد طبريّة، ومنه محمد بن جرير الآملىّ"[7]. وذكر محمد بن عبدالله الحميري قال:"وحكى البكري أن آمل من بلاد طبرية وأن منها محمد بن جرير الطبري الإمام ولعلها مدينة أخرى تسمى كذلك"[8].

فقد سها الحميري وهذا السهو الذي وقع فيه وغيره يكون عن طريق النقل الخاطئ عنمن كان قبلهم، وقد يكون بتشابه إسم بلدة مع أخرى مع أن اللغة العربية لاتوافق أن ينسب محمد بن جرير

---

[4] تذكرة الحفاظ، شمس الدين أبو عبد الله الذهبي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت–لبنان،ط:الأولى، 1419هـ- 1998م،ج2، ص201.
شرح صحيح البخارى لابن بطال،برقم حديث 201، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم
دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض،الطبعة: الثانية، 1423هـ - ،2003م،ج9،ص352.

[6]مصدر سابق،ج1،ص57.

[7]معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي، عالم الكتب، بيروت،ط: الثالثة، 1403 هـ،ج1،ص93.

[8]الروض المعطار في خبر الأقطار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى،المحقق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع على مطابع دار السراج،ط: الثانية، 1980 م،ج1،ص5.

إلى طبرية بل الصحيح على مقتضى العربية أن ينسب إلى طبرستان فيقال طبري وأما النسبة إلى طبرية فيكون طبراني[9]والفرق واضح .

مولده: كان مولده في آخر سنة أربع وعشرين ومائتين أو أول سنة خمس وعشرين ومائتين. قال ابن كامل: فقلت له كيف وقع لك الشك في ذلك؟ فقال: لأن أهل بلدنا يؤرخون بالأحداث دون السنين، فأرّخ مولدي بحدث كان في البلد، فلما نشأت سألت عن ذلك الحادث فاختلف المخبرون لي فقال بعضهم: كان ذلك في آخر سنة أربع، وقال آخرون: بل كان في أول سنة خمس وعشرين ومائتين، وكان مولده بآمل طبرستان وهي قصبة طبرستان[10].

نشأته:

كانت حافلة بالعلم فقد حفظ القرآن وصلى بالناس وكتب الحديث في بداية عمره والقصة يرويها عنه أبو بكر ابن كامل: جئت الى أبي جعفر قبل المغرب ومعي ابني أبو رفاعة وهو شديد العلة، فوجدت تحت مصلاه «كتاب فردوس الحكمة»[11] لعلي بن ربن الطبري سماعا له، فمددت يدي لأنظره، فأخذه ودفعه إلى الجارية وقال لي: هذا [ابنك] ؟ فقال قلت: نعم، قال: ما اسمه؟ قلت: عبد الغني، قال: أغناه الله، وبأي شيء كنيته؟ قلت: بأبي رفاعة، قال: رفعه الله، أفلك غيره؟ قلت: نعم أصغر منه، قال: وما اسمه؟ قلت: عبد الوهاب أبو يعلى، قال: أعلاه الله، لقد اخترت الكنى والأسماء. ثم قال لي: كم لهذا سنة؟ قلت: تسع سنين، قال: لم لم تسمعه مني شيئا؟ قلت: كرهت صغره وقلة أدبه، فقال لي: حفظت القرآن ولي سبع سنين، وصليت بالناس وأنا ابن ثماني سنين، وكتبت الحديث وأنا ابن تسع سنين، ورأى لي أبي في النوم أنني بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان معي مخلاة مملوءة حجارة وأنا أرمي بين يديه، فقال له المعبر: إنه إن كبر نصح في دينه وذبّ عن شريعته، فحرص أبي على معونتي على طلب العلم وأنا حينئذ صبي صغير[12].

---

[9]ومنها الإمام أبو القاسم الطبرانى صاحب المعاجم وتلميذ ابن جرير كذلك.

[10]معجم الأدباء،مصدر سابق،ج6،ص2445.

[11]وكتاب فردوس الحكمة في الكيمياء وهذا يخبرك بسعة إطلاع الإمام ابن جرير في شتى العلوم أما دفعه عنه فإن بعض العلوم تحتاج إلى مبادئ أولية وإطلاع كاف فمن أجل ذلك دفعه منه.

[12]معجم الأدباء،مصدر سابق،ج6،ص2446.

وطلب العلم بعد الأربعين ومائتين وأكثر الترحال، ولقي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر علما، وذكاء، وكثرة تصانيف، قل أن ترى العيون مثله. قال أبو أبو سعيد بن يونس: محمد بن جرير من أهل آمل، كتب بمصر، ورجع إلى بغداد، وصنف تصانيف حسنة تدل على سعة علمه. وقال الخطيب: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب: كان أحد أئمة العلماء يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان حافظا لكتاب الله، عارفا بالقراءات، بصيرا بالمعاني، فقيها في أحكام القرآن، عالما بالسنن وطرقها، صحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفا بأقوال الصحابة والتابعين، عارفا بأيام الناس وأخبارهم، وله الكتاب المشهور في "أخبار الأمم وتاريخهم" وله كتاب "التفسير" لم يصنف مثله، وكتاب سماه "تهذيب الآثار" لم أر سواه في معناه، لكن لم يتمه، وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة من أقاويل الفقهاء، وتفرد بمسائل حفظت عنه، قلت: كان ثقة، صادقا، حافظا، رأسا في التفسير، إماما في الفقه، والإجماع والاختلاف، علامة في التاريخ وأيام الناس، عارفا بالقراءات وباللغة، وغير ذلك.قرأ القرآن ببيروت على العباس بن الوليد[13]

شيوخه: أكثر التطواف، وسمع محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب وأبا همام السكوني وإسحاق بن أبي إسرائيل[14] وإسماعيل بن موسى السدي[15] ومحمد بن حميد الرازي[16]وأحمد بن منيع[17] وأبا

---

[13]مصدر سابق ،ج11،ص165.

[14]أبو يعقوب، إسحاق بن أبي إسرائيل – واسم (أبي إسرائيل): إبراهيم بن كامجرا – بفتح الميم، وسكون الجيم – المروزي، البغدادي، شيخ الطبري، مولده نحو سنة خمسين ومائة، وتوفي سنة خمس، أو ست وأربعين ومائتين، من أكابر العاشرة، صدوق، تكلم فيه لوقفه في القرآن،مصدر سابق،ج1،ص42.

[15]أبو محمد، ويقال: أبو إسحاق، إسماعيل بن موسى، الفزاري، الكوفي، نسيب السدي، شيخ الطبري، توفي يوم السبت لأربع ليال خلون من شعبان سنة خمس وأربعين ومائتين، من العاشرة، صدوق، يخطئ، أنكروا عليه الغلو في التشيع، والرفض، وشتمه السلف، وأما في الرواية فقد احتمله الناس ورووا عنه.مصدر سابق،ج1،ص54.

[16]أبو عبد الله محمد بن حميد الرازي من كبار المحدثين، حافظ، عالم بهذا الشأن، دخل بغداد، فرضيه ابن حنبل، وابن معين، وحرضا الناس على السماع منه الإرشاد في معرفة علماء الحديث، أبو يعلى الخليلي، خليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل القزويني ،المحقق: د. محمد سعيد عمر إدريس، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض،ط: الأولى، 1409،ج2،ص669.

[17]أبو همام، الوليد بن شجاع بن الوليد بن قيس، السكوني، الكندي، الكوفي، نزيل بغداد: توفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين، من العاشرة، ثقة، عجم شيوخ الطبري، أكرم بن محمد زيادة الفالوجي الأثري، الناشر: الدار الأثرية، الأردن – دار ابن عفان، القاهرة،ط: الأولى، 1426 هـ – 2005 م،ج1،ص655.

كريب[18] وهناد بن السري[19] وخلائق، وأخذ القراءات عن جماعة. حدث عنه مخلد الباقرجي وأحمد بن كامل وأبو القاسم الطبراني وعبد الغفار الحضيني وأبو عمرو بن حمدان وخلق سواهم[20]

تلاميذه:محمد بن أحمد الداجوني، وعبد الواحد بن عمر[21]، وعبد الله بن أحمد الفرغاني، ومحمد بن محمد بن فيروز الكرجي شيخ الأهوازي [22]»، وغيرهم كثير[23] ومن الذين تتلمذوا على «أبي جعفر الطبري» القاضي أبو بكر أحمد قاضي الكوفة، وأبو الحسن أحمد بن يحيى بن علم الدين».وهو صاحب كتاب «المدخل إلى مذهب الطبري»،ومنهم «أبو الفرج المعافي بن زكريا النهرواني» القاضي المشهور.[24]

وفاته:

أما عن وفاته قال أبو محمد الفرغاني: حدثني أبو بكر الدينوري، قال: لما كان وقت صلاة الظهر من يوم الاثنين الذي توفي فيه –في آخره– ابن جرير طلب ماء ليجدد وضوءه، فقيل له: تؤخر الظهر تجمع بينها وبين العصر. فأبى وصلى الظهر مفردة، والعصر في وقتها أتم صلاة وأحسنها.

---

[18]أبو كريب، محمد بن العلاء بن كريب الهمداني، الكوفي: مولده سنة ستين ومائة، وتوفي يوم الثلاثاء لأربع بقين من جمادى الآخرة – وقيل: لست بقين، وقيل: لثلاث بقين – من جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين ومائتين، وهو ابن سبع وثمانين سنة، وقيل: مات سنة سبع وأربعين ومائتين، وهو وهم، والله أعلم، من العاشرة. ثقة، حافظ. وترك الإمام أحمد الرواية عنه، طاعنا في عدالته؛ لإجابته في فتنة خلق القرآن، مع إقراره بحفظه، وضبطه، وإتقانه.مصدر سابق،ج1،ص730.

[1919]أبو السري، هناد بن السري بن يحيى بن السري التميمي، الكوفي: توفي سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة، من الثانية عشرة، وكان ثقة، عسرًا في الحديث.مصدر سابق،ج1،ص652.

[20]تذكرة الحفاظ،شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ،الناشر: دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، الطبعة: الأولى، 1419هـ- 1998م،ج2،ص202.

[21]عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبى هاشم أبو طاهر المقرئ النحوىّ، من مدينة أبى جعفر. قرأ على ابن درستويه بعض كتاب سيبويه، ولم ير بعد ابن مجاهد مثله. وكان يقرئ فى سكّة عبد الصمد بن على بن عبد الرحمن ابن العباس ببغداذ، وكان كوفىّ المذهب، وتوفى سنة أربع وأربعين وثلاثمائة. إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1982م،ج2،ص215.

[22]محمد بن محمد بن فيروز بن زاذان أبو عبدي الله الكرجي –بفتح الكاف والراء وبجيم– شيخ جليل مقرئ،توفى سنة ست وثمانين وثلاثمائة.طبقات القراء،مصدر سابق،ج2،ص247.

[23]غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري،الناشر: مكتبة ابن تيمية، ط: عني بنشره لأول مرة عام 1351هـ ،ج2،ص107.

[24]معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ، محمد محمد محمد سالم محيسن (المتوفى: 1422هـ)،الناشر: دار الجيل – بيروت، ط: الأولى، 1412 هـ - 1992 م،ج1،ص145.

وحضر وقت موته جماعة منهم: أبو بكر بن كامل فقيل له قبل خروج روحه: يا أبا جعفر! أنت الحجة فيما بيننا وبين الله فيما ندين به، فهل من شيء توصينا به من أمر ديننا، وبينة لنا نرجو بها السلامة في معادنا؟ فقال: الذي أدين الله به وأوصيكم هو ما ثبت في كتبي، فاعملوا به وعليه. وكلاما هذا معناه، وأكثر من التشهد وذكر الله –عز وجل– ومسح يده على وجهه، وغمض بصره بيده، وبسطها وقد فارقت روحه الدنيا[25].

استوطن ابن جريرالطبري ببغداد وأقام بها إلى وفاته في أواخر شهر شوال سنة عشروثلاثمائة للهجرية،ودفن في داره في بغداد وشيعه من لايحصيهم إلا الله تعالى[26].

وقد رثاه ابن دريد بقصيدة بديعة طويلة، يقول فيها:

إن المنية لم تتلف به رجلا ... بل أتلفت علما للدين منصوبا

كان الزمان به تصفو مشاربه ... والآن أصبح بالتكدير مقطوبا

كلا وأيامه الغر التي جعلت ... للعلم نورا وللتقوى محاريب.[27]

---

[25]سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج11،ص171.

[26]مصدر سابق،سير أعلام النبلاء،ج14،ص282.

[27]تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ،المحقق: عمر عبد السلام التدمري،الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت،الطبعة: الثانية، 1413 هـ – 1993م،ج23،ص286.

المبحث الثاني:
التعريف بالإمام ابن كثير

إسمه ولقبه وكنيته:

هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عُمَر بن كثير [28] بن ضوء بن كثير بن درع القرشي[29] الأموي[30] البصروي القيسي([31])[32] الشافعي([33]))[34] ولد بمجدل[35] القرية من أعمال مدينة بصرى في سنة إحدى وسبعمائة إذ كان أبوه خطيبًا بها ثم انتقل إلى دمشق في سنة ست وسبعمائة [36] ومدينة بصرى هي مقرهم الأصلى فقد تحول والده في قراها فقد ولد والده في قرية الشركوين غرب البصرى ثم تحول إلى قرية خطابة شرق البصرة ثم تحول إلى قرية مجدل التى منها والدة الإمام ابن كثير وبها مكث والده حتى توفي رحمه الله.

تحقيق وقت ولادته:

جمهور المؤرخين قالو أنه في ولد في سنة 701هـ مطلع القرن الثامن الهجري منهم الحسيني في كتابه (ذيل تذكرة الحفاظ ، ص57) وبعضهم قال إنه ولد في سنة 700هـ أي في نهاية القرن السابع وقسم ثالث تردد في الأمرين فمنهم ابن حجر أثبت في مكان أنه ولد سنة 700هـ وذلك في كتابه (انباه الغمر،ج1،ص39) وأما في (كتابه الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة،ج1،ص399) ولعله رجح هذا الرأي في هذا الكتاب مع إثبات غيره في موضع آخر لأن الكتاب حدوده في المئة الثامنة فلو عده من مواليد سنة 700هـ لايحسب من أعيان المائة الثامنة،

---

[28]تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج،المزي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت،ط: الأولى، 1400 – 1980،ج1،ص64.

[29]القرشى: نسبة إلى قريش، وهم بنو النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدرك بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، فكل من كان من قبيل النضر فهو قرشى،

[30]النسبه إلى «أُمَيّة»: أُمَوِيّ قياسًا، و «أَمَوِيّ» سماعًا عن العرب الفصحاء كما ذكرت المعاجم؛ ففي المصباح: بضم الهمزة على القياس وبفتحها على غير القياس وهو الأشهر عندهم. معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، الدكتور أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، القاهرة،ط: الأولى، 1429 هـ - 2008 م،ج1،ص78.

[31]الْقَيْسِي: بِفَتْح أَوله وَسُكُون الْمُثَنَّاة تَحت وَكسر السِّين الْمُهْملَة نِسْبَة إِلَى قيس عيلان بن مُضر يروت، ط: الأولى، 1993م،ج7،ص260.

[32]مصدر سابق،الدرر الكامنة ،ج1،ص440.

[33]فهو من فقهاء الشافعية وعلمائهم إذهو صاحب طبقات الشافعين.

[34]ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد،محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (المتوفى: 832هـ)،المحقق: كمال يوسف الحوت،الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1410هـ/1990م،ج1،ص471.

[35]مجدل:بكسر أوّله، وإسكان ثانيه، بعده دال مفتوحة: موضع تلقاء متالع، قد تقدّم ذكره هناك.

[36]ذيل تذكرة الحفاظ، شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الدمشقي الشافعي،الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الطبعة الأولى 1419هـ - 1998م،ج1،ص38.

أما الذهبي فقد تردد لكن في موضع واحد حيث قال:(ولد بعد سبع مائة أو فيها) وذلك في (كتابه معجم محدثي الذهبي،ص56)أما المحدث الشيخ أحمد بن محمد شاكر في كتابه (عمدة التفسير ،ج1،ص23) فيرجح أن ولاته في السنة 700هـ ويحتج بقول ابن كثير :(توفي والدي في شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعمائة، في قرية مجيدل القرية، ودفن بمقبرتها الشمالية عند الزيتون وكنت إذ ذاك صغيرا ابن ثلاث سنين أو نحوها لا أدركه إلا كالحلم). فعلق في قوله :(لا أدركه إلا كالحلم) فقال الذي هو في سن أقل من الثلاث ماأظنه يذكر شيئا كالحلم، ولا أبعد من الحلم، ولا أقرب) فالشيخ يقول بل هو أكبر من ذلك ثلاث أي أربع سنين وفي نظري من حيث التذكر والفطنة هناك إختلاف كبير بين الناس فتجد من في سن السادس ولايذكر أمور كبار والعكس تمام ابن الثالثة قد يتفطن لذلك هذا من ناحية أما من ناحية أخري فالثالثة والرابعة كلاهما مرحلة واحدة وعلى كل فالصحيح القول أن الأمرين محتملين وذلك لعدم وجود الشيئ القاطع الذي يقطع بأحدهما أو يرجح أحدهما على الآخر فجميع وسائل الترجيح في نظري قاصرة في ترجيح أحدهما والذي يترجح لى أن التردد موجود أصلا فالذين جزمو بأنه ولد سنة 701هـ أهملو رأيا آخر والذين جزمو بولادته في سنة 700هـ كذلك وقعو في النقيض والصحيح من القول أن يذكر القولين وذلك لأمور أولا: لأن تحديد المواليد في تلك الفترات كانت بحوادث تقع فيؤرخ بها بغض النظر أن هذه الحادثة كانت في بداية السنة أم آخرها فهذا الذي يوقع الشك والتردد ثانيا: أن ابن كثير هو نفسه تردد في قوله السابق(وكنت إذ ذاك صغيرا ابن ثلاث سنين أو نحوها لا أدركه إلا كالحلم) فأثبت أن أباه توفي سنة 703هـ ثم أخبر عن عمره إذاك ثلاثة سنين أو نحوها أي قريبا منها .

لقبه وكنيته: إطلق على الإمام ابن كثير عدة كنى[37] وألقاب[38] فمن الكنى أبو الفداء [39]وابن كثير ومن الألقاب الحافظ [40]تقى الدين ومخلص الدين[41] وعماد الدين[42] وكثرت الكنى والألقاب تدل على علو مكانته ورفعته وعظمته وهو كذلك فإن الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى كان قامة لايشق لها غبار في علمه ومكانته .

شيوخه ومؤلفاته وثناء أهل العلم عليه:

نماذج من شيوخه:

1/ عبد الْوَهَّاب بن إِسْمَاعِيل:

مات والده وهو في الرابعة فرباه أخوه الشيخ عبد الوهاب[43] وهو أول مشائخه.

عبد الْوَهَّاب بن إِسْمَاعِيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن درع التَّاج بن الْحَافِظ الْعِمَاد الْقرشِي البصروي الدِّمَشْقِي الْمزي وَيعرف كأبيه بِابْن كثير. ولد فِي ثَالِث عشر ذِي الْحجَّة سنة سبع

---

[37]الكني: الكنية على ثلاثة أوجه: أحدها أن يكنى عن الشيء الذي يستفحش ذكره، والثاني أن يكنى الرجل باسم توقيرا وتعظيما، والثالث أن تقوم الكنية مقام الاسم فيعرف صاحبها بها كما يعرف باسمه كأبي لهب اسمه عبد العزى، عرف بكنيته فسماه الله بها. لسان العرب، محمد بن مكرم الإفريقى ،الناشر: دار صادر – بيروت، ط: الثالثة – 1414 هـ،ج15،ص233.

[38]اللقب: اسم وضع بعد الاسم الاول، للتعريف، أو التشريف، أو التحقير، والاخير منهي عنه وفي القرآن الكريم (ولا تنابزوا بالالقاب) (الحجرات: 11) وقد يجعل لقب السوء علما. القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، الدكتور سعدي أبو حبيب، لناشر: دار الفكر. دمشق – سورية، ط: الثانية 1408 هـ = 1988 م، تصوير: 1993 م،ج1،ص331.

[39]مصدر سابق،تهذيب الكمال،ج1،ص64.

[40]غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف ، الناشر: مكتبة ابن تيمية،ط: عني بنشره لأول مرة عام 1351هـ ج. برجستراسر،ج1،ص365.

[41]النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر،ج7،ص202.

[42]شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: 1089هـ)،حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، 1406 هـ – 1986 م،ج8،ص397.

[43]الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي ،الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت،ج5،ص98.

وَسِتِّينَ وَسَبْعمائة، وبه تفقه في مبدأ أمره، ثم لازم الاشتغال، ودأب وحصل وكتب، وبرع في الفقه والتفسير والحديث.

قال عنه ابن كثير:(ثم تحولنا من بعده في سنة سبع وسبعمائة إلى دمشق صحبة كمال الدين عبد الوهاب، وقد كان لنا شقيقا، وبنا رفيقا شفوقا، وقد تأخرت وفاته إلى سنة خمسين، فاشتغلت على يديه في العلم فيسر الله تعالى منه ما يسر، وسهل منه ما تعسر والله أعلم)[44].

وهذا يخبر بمكانة الأسرة الكريمة التي خرج منها الحافظ ابن كثير فأباه كان عالما وكذلك أخاه عبد الوهاب كان صاحب علم ولهذا فقد تتلمز على يديه وترعرع تحت كنفيه وسد له الفقد الذي نزل عليه من فقد أبيه فلله دره.

2/ الفزاري:

قال عنه ابن كثير:(شيخنا العلامة برهان الدين الفزاري هو الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ المذهب وعلمه ومفيد أهله، شيخ الإسلام مفتي الفرق بقية السلف برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن الشيخ تاج الدين أبي محمد عبد الرحمن ابن الشيخ الإمام المقري المفتي برهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن سباع بن ضياء الفزاري المصري الشافعي، ولد في ربيع الأول سنة ستين وستمائة، وسمع الحديث واشتغل على أبيه وأعاد في حلقته وبرع وساد أقرانه، وسائر أهل زمانه من أهل مذهبه في دارية المذهب ونقله وتحريره، ثم كان في منصب أبيه في التدريس بالبادرائية، وأشغل الطلبة بالجامع الأموي فانتفع به المسلمون، وقد عرضت عليه المناصب الكبار فأباها، فمن ذلك أنه باشر الخطابة بعد عمه العلامة شرف الدين مدة ثم تركها وعاد إلى البادرائية، وعرض عليه قضاء قضاة الشام بعد ابن صصرى وألح نائب الشام عليه بنفسه وأعوانه من الدولة فلم يقبل، وصمم وامتنع أشد الامتناع، وكان مقبلا على شأنه عارفا بزمانه مستغرقا أوقاته في الاشتغال والعبادة ليلا ونهارا، كثير المطالعة وإسماع الحديث، وقد سمعنا عليه صحيح مسلم وغيره، وكان يدرس بالمدرسة المذكورة، وله تعليق كثير على التنبيه، فيه من الفوائد ما ليس يوجد

---

[44]البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ،المحقق: علي شيري،الناشر: دار إحياء التراث العربي،ط: الأولى 1408، هـ - 1988 م،ج14،ص37.

في غيره، وله تعليق على مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه، وله مصنفات في غير ذلك كبار.

وبالجملة فلم أر شافعيا من مشايخنا مثله، وكان حسن الشكل عليه البهاء والجلالة والوقار، حسن الأخلاق، فيه حدة ثم يعود قريبا، وكرمه زائد وإحسانه إلى الطلبة كثير، وكان لا يقتني شيئا ويصرف مرتبه وجامكية مدرسته في مصالحه، وقد درس بالادرائية من سنة سبعين وستمائة إلى عامه هذا، توفي بكرة يوم الجمعة سابع جمادى الأولى بالمدرسة المذكورة، وصلي عليه عقب الجمعة بالجامع وحملت جنازته على الرؤوس وأطراف الأنامل، وكانت حافلة، ودفن عند أبيه وعمه وذويه بباب الصغير رحمه الله تعالى)[45].

3/ الحافظ أبا الحجاج المزي:

ثم صاهر ابن كثير الحافظ أبا الحجاج المزي ولازمه، وأخذ عنه[46].

قال الصفدي:(ووجدت بدمشق الإمام المقدم والحافظ الذي فاق من تأخر من أقرانه وتقدم أبا الحجاج المزي بحر هذا العلم الزاخر القائل من رآه كم ترك الأوائل للأواخر أحفظ الناس للتراجم وأعلمهم بالرواة من أعارب وأعاجم لا يخص بمعرفته مصرا دون مصر ولا ينفرد علمه بأهل عصر دون عصر معتمدا آثار السلف الصالح مجتهدا فيما نيط به في حفظ السنة من النصائح معرضا عن الدنيا وأشباهها مقبل على طريقته التي أربى بها على أربابها لا يبالي بما ناله من الأزل ولا يخلط جده بشيء من الهزل وكان بما يصنعه بصيرا وبتحقيق ما يأتيه جديرا وهو في اللغة إمام وله بالقريض إلمام وكنت أحرص على فوائده لأحرز منها ما أحرز وأستفيد من حديثه الذي إن طال لم يملل وإن أوجز وددت أنه لم يوجز)[47].

وقال عنه ابن كثير:(شيخنا المزي تغمده الله برحمته، وكان شيخنا حسنا خيرا مباركا متواضعا، يذهب الربعات والمصاحف، له في ذلك يد طولى، ولم يتدنس بشئ من الولايات، ولا تدنس بشئ

---

[45]مصدر سابق، البداية والنهاية،ج14،167.

[46]مصدر سابق،ج1،ص32.

[47]الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي ،المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت،عام النشر:1420هـ- 2000م،ج29،ص109.

من وظائف المدارس ولا الشهادات، إلى أن توفي في يوم عرفة ببستانه من المزة، وصلي عليه بجامعها ودفن بتربتها رحمه الله[48].

4/الزّملكانيّ:

جمال الإسلام كمال الدين أبو المعالى محمد بن علىّ بن عبد الواحد بن عبد الكريم الزّملكانىّ الأنصارىّ السّماكىّ الدّمشقىّ الشافعىّ قاضى قضاة دمشق بمدينة بلبيس فى سادس عشر رمضان. ومولده سنة سبع وستين وستمائة فى شوّال. وكان إماما علّامة بصيرا بمذهبه وأصوله، قوىّ العربية صحيح الذهن فصيحا أديبا ناظما ناثرا، أفتى وله نيّف وعشرون سنة، وصنّف وكتب)[49]

قال عنه ابن كثير :(وأما دروسه في المحافل فلم أسمع أحدا من الناس درس أحسن منها ولا أحلى من عبارته، وحسن تقريره، وجودة احترازاته، وصحة ذهنه وقوة قريحته وحسن نظمه، وقد درس بالشامية البرانية والعذراوية الجوانية والرواحية والمسرورية، فكان يعطي كل واحدة منهن حقها بحيث كان يكاد ينسخ بكل واحد من تلك الدروس ما قبله من حسنه وفصاحته، ولا يهيله تعداد الدروس وكثرة الفقهاء والفضلاء، بل كلما كان الجمع أكثر والفضلاء أكبر كان الدرس أنضر وأبهر وأحلى وأنصح وأفصح[50].

6/ شيخ الإسلام ابن تيمية:

الشيخ الإمام العالم المفسر الفقيه المجتهد الحافظ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراني ابن تيمية الشيخ الإمام العالم العلامة المفسر الفقيه المجتهد الحافظ المحدث شيخ الإسلام نادرة العصر ذو التصانيف والذكاء والحافظة المفرطة تقي الدين أبو العباس)[51]

مؤلفاته وثناءأهل العلم عليه :

---

[48]مصدر سابق،ج14،ص126.

[49]النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن،الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر ،ج9،ص270.

[50]البداية والنهاية،ابن كثير ،ج14،ص152.

[51]مصدر سابق،الوافي بالوفيات، الصفدي ،ج7،ص20.

ترك الحافظ ابن كثير ثروة قَيِّمَةً من المؤلفات البديعة النافعة، بل صَنَّفَ مكتبة إسلامية خاصة به في شتى الفنون، وقَلَّما تَسَنَّى هذا لأحد غيره، وصارت كتبه هي الأشهر في كل فن. وأقبل على علم الحديث، وأخذ الكثير عن ابن تيمية، وقرأ الأصول على الأصفهاني، وسمع الكثير، وأقبل على حفظ المتون، ومعرفة الأسانيد والعلل والرجال والتاريخ، حتى برع في ذلك وهو شاب، وصنّف في صغره كتاب «الأحكام على أبواب التنبيه» والتاريخ المسمّى «بالبداية والنهاية» و «التفسير» و «كتابا في جمع المسانيد العشرة» واختصر «تهذيب الكمال» وأضاف إليه ما تأخر في «الميزان» سماه «التكميل» و «طبقات الشافعية» و «مناقب الإمام الشافعي» وخرج الأحاديث الواقعة في «مختصر ابن الحاجب» و «سيرة» صغيرة، وشرع في أحكام كثيرة حافلة كتب منها مجلدات إلى الحج، وشرح قطعة من «البخاري» وقطعة كبيرة من «التنبيه»، وولي مشيخة أم الصالح بعد موت الذهبي، وبعد موت السبكي مشيخة دار الحديث الأشرفية مدة يسيرة[52]

ثناء أهل العلم عليه:

الامام العلامة الحافظ عماد الدين ثقة المحدثين عمدة المؤرخين علم المفسرين[53].

كان أحفظ من أدركناه لمتون الأحاديث، وأعرفهم بتخريجها ورجالها وصحيحها وسقيمها، وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك، وكان يستحضر شيئا كثيرا من الفقه والتاريخ، قليل النسيان وكان فقيها جيد الفهم، صحيح الذهن، ويحفظ «التنبيه» إلى آخر وقت، ويشارك في العربية مشاركة جيدة، وينظم الشعر، وما أعرف أني اجتمعت به على كثرة ترددي إليه إلا واستفدت منه[54].

قال الذهبي: وسمعت مع الفقيه المفتي المحدث ذي الفضائل عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي الشافعي، ولد بعد السبعمائة أو فيها وسمع من ابن الشحنة وابن الزراد وطائفة، وله عناية بالرجال والمتون والفقه، خرج وألف وناظر وصنف وفسر وتقدم.[55]

---

[52]طبقات المفسرين للداوودي، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت،ج1،ص111.

[53]مصدر سابق، الرد الوافر،ج1،ص92.

[54]طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة (المتوفى: 851هـ)، المحقق: د. الحافظ عبد العليم خان، دار النشر: عالم الكتب – بيروت، ط: الأولى، 1407 هـ، ج3،ص86.

[55]مصدر سابق، تذكرة الحفاظ،ج4،ص201.

أحد الحفاظ الكبار، كان واحد زمانه في الإتقان والحفظ والفقه والتصنيف، كان فقيهًا، أصوليًا، وكان زاهدًا متقللًا من الدنيا، كثير العبادة والورع[56]

قال عنه ابن حبيب: "إمام ذوي التسبيح والتهليل، وزعيم أرباب التأويل، سمع وجمع وصنف، وأطرب الاسماع بقوله وشنف، وحدث وأفاد، وطارت أوراق فتاويه إلى البلاد، واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهت إليه رياسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير". توفي بدمشق، وكان قد أضر بآخر عمره[57]

[56]السَّلسَبِيلُ النَّقِي في تَرَاجِمِ شيُوخ البَيهَقِي، أبو الطيب نايف بن صلاح بن علي المنصوري، الناشر: دَارُ العَاصِمَة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، 1432 هـ - 2011 م، ج1،ص169.

[57]معجم المفسرين، عادل نويهض، قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالدالناشر: مؤسسة نويهض، الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان،ط: الثالثة، 1409 هـ - 1988 م،ج1،ص92.

المبحث الثالث: منهج الإمامين

منهج الإمام ابن جرير:

طريقته في التفسير:

لقد سلك الإمام ابن جرير الطبري منهجا فريدا في التفسير يتلخص في الآتى:

يذكر الأية أو الآيات من القرآن الكريم ثم يقول : القول في تأويل قوله تعالى... كذا وكذا، ثم يفسر الآية تفسيرا إجماليا ثم يقول: وبنحو الذي قلنا قال أهل التأويل، ثم يذكر أشهر الأقوال التى أثرت عن الصحابة والتابعين من سلف الأمة في تفسيرها.

وإن تعددت الأقوال فإنه يعرض كل قول على حدة فيذكر القول الأول ثم يذكر قائله ،ثم الثاني ويذكر قائله وهكذا إلى آخر الأقوال ثم يوازن ويرجح بين هذه الأقوال ويكون الترجيح إما بقوة السند أو لشهرة الرواية أو لكونها موافقة لظاهر القرآن أو موافقة للسياق أو لسبب النزول أو لأصل من أصول العقيدة أو لموافقة الفصيح من شعر العرب.

منهجه في القرآءات:

لقد كان لـ بن ابن جرير الطبري باع طويل ودراسة مستفيضة في علم القرآءات فقد أخذ القرآءات سماعا وقراءة وقد صنف في ذلك كتابا سماه(كتاب القراءات).

وقد سماه الحموي: كتاب(الفصل بين القرآت)، ذكر فيه اختلاف القراء في حروف القرآن، وهو من جيد الكتب، وفصل فيه أسماء القراء بالمدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام وغيرها، وفيه من الفصل بين كل قراءة، فيذكر وجهها وتأويلها والدلالة على ما ذهب إليه كل قارىء لها، واختياره الصواب منها، والبرهان على صحة ما اختاره، مستظهرا في ذلك بقوته على التفسير والاعراب الذي لم يشتمل على حفظ مثله أحد من القراء، وان كان لهم رحمهم الله من الفضل والسبق ما لا يدفع ذو بصيرة.[58]

ويذكر خلاف القراء إن كان في قراءة الآية خلاف يوجب الإختلاف في المعنى، وقد يذكر خلاف القراءة قبل ذكره لخلاف المفسرين،إن كان خلاف المفسرين إنما نشأعن اختلاف القراءة وأما إن لم كذلك فإنه يورد هذا الإختلاف عقب ذكره لخلاف المفسرين، ليستدل بالقراءة المختارة على القول الراجح في تفسيرة الآية .

---

[58]معجم الأدباء ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ،المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: الأولى، 1414 هـ - 1993 م،ج6،ص2445.

طريقة ترجيحه بين القراءات:

1/ أنه لايرد أحد القراءات المتواترة إذا كان معانيها متفقة:

لأن يرى لطالما المعاني متفقة فلا حاجة لإختيار بعضها على بعض.

مثاله ذلك: في تأويل قوله تعالى:" وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير"[59].

قال أبو جعفر: اختلفت القرأة في قراءة ذلك: فقرأه بعضهم: (وكأين) ، بهمز"الألف" وتشديد"الياء". وقرأه آخرون بمد"الألف" وتخفيف"الياء" وهما قراءتان مشهورتان في قرأة المسلمين، ولغتان معروفتان، لا اختلاف في معناهما، فبأي القراءتين قرأ ذلك قارئ فمصيب. لاتفاق معنى ذلك، وشهرتهما في كلام العرب"[60].

2/ أنه يرجح بين القراءات المتواترة وإن كانت معانيها متفقة بعلة أنها الأشهر:

مثال ذلك : قال تعالى:"ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون"[61]

قال أبو جعفر: وأما القرأة فإنهم اختلفوا في قراءة"العفو". فقرأته عامة قرأة الحجاز وقرأة الحرمين وعظم قرأة الكوفيين:" قل العفو" نصبا. وقرأه بعض قرأة البصريين:"قل العفو" رفعا، فمن قرأه نصبا جعل"ماذا" حرفا واحدا، ونصبه بقوله:" ينفقون"، على ما قد بينت قبل، ثم نصب"العفو" على ذلك. فيكون معنى الكلام حينئذ: ويسألونك أي شيء ينفقون؟ ومن قرأ رفعا جعل"ما" من صلة"ذا"، ورفعوا"العفو". فيكون معنى الكلام حينئذ: ما الذي ينفقون؟ قل: الذي ينفقون، العفو. ولو نصب"العفو"، ثم جعل"ماذا" حرفين، بمعنى: يسألونك ماذا ينفقون؟ قل: ينفقون العفو = ورفع الذين جعلوا"ماذا" حرفا واحدا، بمعنى: ما ينفقون؟ قل: الذي ينفقون، خبرا = كان صوابا صحيحا في العربية.

وبأي القراءتين قرئ ذلك، فهو عندي صواب، لتقارب معنييهما، مع استفاضة القراءة بكل واحدة منهما. غير أن أعجب القراءتين إلي، وإن كان الأمر كذلك، قراءة من قرأه بالنصب، لأن من قرأ به من القرأة أكثر، وهو أعرف وأشهر"[62].

---

[59] سورة آل عمران: الآية 146.

[60] مصدر سابق، تفسيرالطبري، ج7، ص263.

[61] سورة البقرة: الآية219.

[62] مصدر سابق، تفسير الطبري، ج4، ص347.

3/ التصويب بين القراءات المتواترة وترجيح بعضها على بعض:

مثاله تأويل قوله تعالى:" فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير"[63]. قال أبو جعفر: وأعجب القراءتين في ذلك إلي قراءة من قرأ: (أن يصالحا بينهما صلحا) ، بفتح"الياء" وتشديد"الصاد"، بمعنى: يتصالحا. لأن"التصالح" في هذا الموضع أشهر وأوضح معنى، وأفصح وأكثر على ألسن العرب من"الإصلاح". و"الإصلاح" في خلاف"الإفساد" أشهر منه في معنى"التصالح". فإن ظن ظان أن في قوله:"صلحا"، دلالة على أن قراءة من قرأ ذلك (يصلحا) بضم"الياء" أولى بالصواب، فإن الأمر في ذلك بخلاف ما ظن. وذلك أن"الصلح" اسم وليس بفعل، فيستدل به على أولى القراءتين بالصواب في قوله:"يصلحا بينهما صلحا"[64].

وهذا المذهب للإمام ابن جرير في الترجيح بين القراءات المتواترة فيه نظر؛ فإن القراءة المتواترة لاترد بمثلها، بل الصحيح الجمع بينها، أما قول ابن جرير"هذه القراءة أحب إلي"، "وهذه القرءة أعجب من هذه القراءة" ، ثم تعليقه بقوله " لأنها الأشهر، أو الأوضح أو الأفصح" ، وغيرها من العبارات التى يستخدمها ابن جرير في الترجيح بين القراءات المتواترة .

وقد استنكف أهل العلم على هذا المذهب الذي سار عليه االبن جرير، وقالو:"القراءات المتواترة لايرد بعضها بعضا ولايرجح بعضها على بعض وأن كل قراءة بمثابة آية مستقلة.

قال الشيخ حسين الحربي:" الإمام ابن جرير منهجه تجاه القراءات واضح جلي في تفسيره، فإنه يعترض أحيانا على قراءة ثابتة، وأحيانا يرجح يرجح قراءة على أخر ترجيحا يكاد يسقطها، والحق أن هذا المنهج مخالف للصواب وهنة وقع فيها هذا العالم الجليل ـ والكمال لله وحده ـ وإن كان تسبيع السبع وإجماع الأمة عليها بعد الإمام الطبري، بيد أنه لم يقصر في طعنه على مخالفة أحدهم لبقيتهم، أولعلة رآها في إسناد القراءة، بل نجده أحيانا كثيرة يرد قراءة متواترة ، أو ينفي عليها أولوية الصواب لأجل مخالفة لقاعدة نحوية، أو قياس لغوي، أو لطلب لطائف المعاني التى يستنبطها من سياق الآيات، وإن لم يكن له طعن فيها من حيث الثبوت، فبهذا يتبين أن القضية ليست في عدم وضوح القراءة عند الطبري، كلا؛ فهو إمام القراءات وبما ثبت ومالم يثبت عالم،

---

[63] سورة النساء: الآية 128.

[64] مصدر سابق، تفسير الطبري، ج9، ص279.

وله كتاب في القراءات يحيل إليه في تفسيره كثيرا، إذا تقرر هذا فالذي دين الله به أنه لايجز رد قراءة ثابتة أو رد معناها، وكل من فعل ذلك فقوله رد عليه لايعتمد ولاينظر إليه"[65].

وهذا ماأراه صوابا أنه لايرجح بين قرائتين متواترتين، بل يجمع بينهما لأننا لانحاكم القراءات على اللغة بل تحاكم اللغة إلى القرآن الكريم.

منهج الإمام ابن كثير:

منهجه في القراءات:

1/ يفسر القراءة بالقراءة الآخرى: ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:" أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء"[66] . قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة: هو الذهب. وكذلك هو في قراءة ابن مسعود: "أو يكون لك بيت من ذهب"[67].

ومثال آخر: تفسير قوله تعالى:" وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس"[68]

قال ابن كثير:" وقوله: "وله أخ أو أخت" أي: من أم، كما هو في قراءة بعض السلف، منهم سعد بن أبي وقاص، وكذا فسرها أبو بكر الصديق فيما رواه قتادة عنه"[69]

2/ بيان القراءة الصحيحة من غيرها:

كما جاء في تفسير قوله تعالى:(ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ماتشكرون)[70] قال ابن كثير: حيث قال: وقد قرء الجميع معايش بلاهمز إلا عبد الرحمن بن هرمز الأعرج فإنه همزها، والصواب الذي عليه الأكثرون بلاهمز.[71] هذا الذي ذهب إليه ابن كثير قد قرره علماء القراءات ، واللغة في كتبهم. كلّهم قرأ: (معايش) بغير همز، وروى خارجة

---

[65] قوعد الترجيح عند المفسرين، حسين بن على الحربي، دار القاسم، ط: الأولى، 1417هـ ، 1996م ، ج1، ص98.

[66] سورة الإسراء: الآية 93.

[67] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج5، ص120.

[68] سورة النساء:الآية 12.

[69]مصدر سابق،ج1،ص460.

[70]سورة الأعراف: الآية 10.

[71]مصدر سابق،ج2،ص202.

عن نافع: (معايش) ممدود مهموز ، وهذا غلط "[72]. وروى خارجة عن نافع (معائش) بالهمز. قال ابن مجاهد: هذا غلط.، وقرأ الباقون (معايش) غير مهموز. قال أبو منصور: الهمز في (معايش) لحن، لأن الياء فيها أصلية، الواحدة: معيشة، الهمز يكون في الياء الزائدة؛ لأنه لاحظ لها في الحركة، وقد قربت من آخر الكلمة، ولزمتها الحركة، فأوجبوا فيها الهمزة"[73].

قوله تعالى: (معايش) : الصحيح أن الياء لا تهمز هنا؛ لأنها أصلية، وحركت لأنها في الأصل محركة، ووزنها معيشة كمحبسة، وأجاز قوم أن يكون أصلها الفتح، وأعلت بالتسكين في الواحد كما أعلت في يعيش، وهمزها قوم، وهو بعيد جدا، ووجهه أنه شبه الأصلية الزائدة، نحو سفينة وسفائن"[74].

ومن أمثلة ذلك أيضا: في قوله تعالى:(وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير)[75]

وقوله:" ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير" أي ثم ألجئه بعد متاعه في الدنيا وبسطنا عليه من ظلها إلى عذاب النار وبئس المصير، ومعناه أن الله تعالى ينظرهم ويمهلهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر كقوله تعالى:"وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلي المصير"[76].

وقرأ بعضهم قال ومن كفر فأمتعه قليلا الآية، جعله من تمام دعاء إبراهيم وهي قراءة شاذة مخالفة للقراء السبعة، وتركيب السياق يأبى معناها، والله أعلم، فإن الضمير في قال: راجع إلى الله تعالى

---

[72] الحجة للقراء السبعة،الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي ، المحقق: بدر الدين قهوجي – بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح – أحمد يوسف الدقاق، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق / بيروت

ط: الثانية، 1413 هـ – 1993م،ج4، ص6.

[73] معاني القراءات للأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، الناشر: مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، 1412 هـ – 1991م، ج1، ص401.

[74] التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، المحقق : علي محمد البجاوي، الناشر:عيسى البابي الحلبي وشركاه،ج1، ص558.

[75]سورة البقرة:الآية126.

[76] سورة الحج:الآية 48.

في قراءة الجمهور، والسياق يقتضيه، وعلى هذه القراءة الشاذة يكون الضمير في قال عائدا على إبراهيم، وهذا خلاف نظم الكلام، والله سبحانه هو العلام"[77]

منهجه في نقل الإسرائيليات:

الإمام ابن كثير يورد الإسرائيليات في تفسيره ، ولكن ليس من المكثرين منها، وله في ذلك منهج متفرد فإنه يعلق على بعض الإسرائيليات، وهي التى تخالف مقاصد الشريعة أو تعارض الوحي من الكتاب والسنة، ويقبل البعض لموافقته للشرع وعدم معارضته، وقسم ثالث يورده ولايعلق عليه وهو الذي لايبنى عليه حكم.

قال الإمام ابن كثير:(ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، فإنها على ثلاثة أقسام: أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح. والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه. والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجوز حكايته؛ لما تقدم. وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني؛ ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيرا. ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك، كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعدتهم، وعصا موسى من أي الشجر كانت، وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى، إلى غير ذلك مما أبهمه الله في القرآن، مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم، ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز، كما قال تعالى: {سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا}[78])[79]

منهجه في ذكر الحديث ورجاله:

---

[77] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج1، ص301.

[78]سورة الكهف: الآية 22.

[79]تفسير القرآن العظيم ،ابن كثير،المحقق: محمد حسين شمس الدين،الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت،ط: الأولى – 1419 هـ،ج1،ص10.

يذكر من الأحاديث مايفسر به الآية فيبدئ في الغالب بما في المسند ثم يخرج الحديث ، فيقول مثلا روى الإمام أحمد في المسند فيورد الحديث ثم يقول "وهو في الصحيحين كذلك" أو يقول " وكذلك أخرجه مسلم"، وهذا يدل على عنايته الفائقة بمسند الإمام أحمد وإستحضاره له، وهذا موضع بحث لطلاب العلم المهتمين بالتفسير المأثور أن يجمع الواحد الأحاديث التى ذكرها الإمام ابن كثير في تفسير القرآن العظيم، التى خرجها في من مسند الإمام أحمد، وعلق عليها إما في سند رجالها، أو في شرح معانيها، أو بيان أحكامها، لخرج الباحث:" بشرح مختصر مفيد لمسند الإمام أحمد بن حنبل .

وأما منهج ابن كثير من حيث تعليقه على الأحاديث فله عدة طرق منها:

1/ حكمه على الحديث من جهة إسناده مفصلا:

في قوله تعالى:" لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم"[80]. قال ابن جرير: حدثنا علي بن سعيد الكندي، حدثنا علي بن مسهر، عن حارثة بن محمد، عن عمرة، عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من حلف على قطيعة رحم أو معصية، فبره أن يحنث فيها ويرجع عن يمينه". فقال الحافظ معلقا: وهذا حديث ضعيف؛ لأن حارثة [هذا] هو ابن أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن، متروك الحديث، ضعيف عند الجميع"[81].

2/ حكمه على الحديث من جهة إسناده مجملا:

قال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا محمد بن عبد الله بن بكر السراج العسكري، حدثنا محمد بن الفرج، حدثنا محمد بن الزبرقان، عن مروان بن سالم، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير، عن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ: " قل هو الله أحد " حين يدخل منزله، نفت الفقر عن أهل ذلك المنزل والجيران" .قال الحافظ :" إسناده ضعيف"[82].

---

[80] سورة البقرة: الآية 225.

[81] مصدرسابق، تفسير ابن كثير، ج1، ص601.

[82] المصدر السابق، ، ج8، ص525.

الفصل الثاني: الاستدراكات على ترجيحات علوم القرآن

المبحث الأول: الناسخ والمنسوخ

المبحث الثاني: أسباب النزول

المبحث الثالث: القراءات

المبحث الأول

الناسخ والمنسوخ

الشاهد الأول: قال تعالى:(ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم إن الله كان على كل شيء شهيدا)[83].

تحرير نقطة الخلاف:

يرى الإمام ابن جرير أن الآية ليست بمنسوخة، أما الحافظ ابن كثير يرى نسخها.

الآثار الواردة في الآية والحكم عليها:

الأثر الأول: "قال البخاري: حدثنا الصلت بن محمد، حدثنا أبو أسامة عن إدريس، عن طلحة بن مصرف، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس:" ولكل جعلنا موالي" قال: ورثة، والذين عقدت أيمانكم كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجري الأنصاري دون ذوي رحمه للأخوة التي آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينهم، فلما نزلت ولكل جعلنا موالي نسخت، ثم قال "والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم" من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصى له".

دراسة الأثر: رواه البخاري في صحيحه برقم 6747.

الأثر الثاني:" قال محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين، قال: كنت أقرأ على أم سعد بنت سعد بن الربيع مع ابن ابنها موسى بن سعد وكانت يتيمة في حجر أبي بكر، فقرأت عليها والذين عاقدت أيمانكم فقالت: لا ولكن والذين عقدت أيمانكم قالت: إنما نزلت في أبي بكر وابنه عبد

[83] سورة النساء: الآية 33.

الرحمن حين أبى أن يسلم، فحلف أبو بكر أن لا يورثه، فلما أسلم حين حمل على الإسلام بالسيف، أمر الله أن يؤتيه نصيبه"

دراسة الأثر:

قال ابن كثير: "وهذا قول غريب"[84]. قال الألباني:"قلت: إسناده ضعيف؛ لعنعنة ابن إسحاق. وبه أعله المنذري" .إسناده: حدثنا أحمد بن حنبل وعبد العزيز بن يحيى- المعنى- قال أحمد: ثنا محمد بن سلمة عن ابن إسحاق. قلت: وهذا إسناد ضعيف، رجاله كلهم ثقات؛ إلا أن ابن إسحاق مدلس،وقد عنعنه، وبه أعله المنذري في "المختصر" (189/4) . وعبد العزيز بن يحيى- هو: البكّائي، أبو الأصبغ الحرّاني، وهو صدوق ربما وهم؛"[85].

حجة ابن جرير:

قال أبو جعفر: "وأولى الأقوال بالصواب في تأويل قوله:"والذين عقدت أيمانكم"، قول من قال:"والذين عقدت أيمانكم على المحالفة، وهم الحلفاء". وذلك أنه معلوم عند جميع أهل العلم بأيام العرب وأخبارها، أن عقد الحلف بينها كان يكون بالأيمان والعهود والمواثيق، على نحو ما قد ذكرنا من الرواية في ذلك. "[86].

حجة ابن كثير:

وقوله تعالى:"والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم" أي والذين تحالفتم بالأيمان المؤكدة أنتم وهم، فآتوهم نصيبهم من الميراث كما وعدتموهم في الأيمان المغلظة، إن الله شاهد بينكم في تلك العهود والمعاقدات، وقد كان هذا في ابتداء الإسلام، ثم نسخ بعد ذلك وأمروا أن يوفوا لمن عاقدوا، ولا ينشئوا بعد نزول هذه الآية معاقدة"[87].

---

[84] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج2، ص254.

[85] ضعيف أبي داود – الأم، الألباني، دار النشر : مؤسسة غراس للنشر و التوزيع – الكويت، ط: الأولى - 1423هـ، ج2، ص404.

[86] مصدر سابق، تفسير الطبري، ج8، ص274.

[87] مصدرسابق، تفسير ابن كثير، ج2، ص288.

توجيه قول الإمامين:

أولا: علل ابن جرير أن هذه الآية خاصة بمسألة "الحلف" لاالميراث لأن الآية أشارت إلى "عقد الأيمان" وهو منتف عن ميراث المآخاة بين المهاجرين والأنصار.

ثانيا: أن قوله تعالى:"والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم"[88] إما أن يقصد به: "العقد الذي يقع في الإرث بالحلف"، بمعنى أن يقول له " ترثي وأرثك"، الذي كان من أمر الجاهلية، وإما أن يقصد به "ماكان من أمر الميراث بسبب المآخاة بين المهاجرين والأنصار".فإذا كان المقصود القول الأول: فهذا واضح على أن الآية بينت منعه، وأمرت بالوفاء على مامضى منه من إتفاق ومعاهدة وميثاق وعقد للأيمان بقوله تعالى" :"والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم"[89]،

وعلى القول الثاني: فليس في الآية ثمت دليل واضح يبين توجيه الآية عليه، بل هناك علة تمنع قصده وهي:"أن المآخاة بين المهاجرين والأنصار" لم يكن فيها "عقد الأيمان"، وهي الحجة التى احتج بها ابن جرير.

ثالثا : الإمام ابن جرير إحتج بأن الآية لايقصد بها الميراث، وهو يقصد بالميراث" الميراث الذي كان بسبب المآخاة التى آخاها النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، لم تكن بينهم بأيمانهم"، وبالتالي يرى أن الآية محكمة لم تتأثر بفرائض الميراث التى فرضت، إنما هي حث على الإيفاء بالعهود، والمعنى:" أن الذين عقدتم معهم الأيمان لنصرتهم فانصروهم". ويصبح معنى:"فآتوهم نصيبهم"، أي: من النصرة والنصيحة والمعونة، والآية دلت على الوفاء بالحلف المعقود على النصرة والنصيحة فقط، فهي محكمة لا منسوخة".

ولكن ثمت أمر ينبغى الإشارة إليه وهو أن ابن جرير يقصد أن الآية لاتعني" ماكان من الميراث بالمآخاة بين المهاجرين والأنصار"، وهذا الذي أنكره وتعلل به ابن جرير ليس ببعيد، ولكن الذي قصده ابن كثير هو" ماكان من ميراث الحلف" فيجمع بين القولين على أن قول ابن جرير صائب في قصده، وكلام ابن كثير صائب في قصده.

رابعا: لامانع بأن تكون الآية عنت ماكان من أمر الجاهلية من نصرة وميراث"

---

[88] سورة النساء: الآية 33.

[89] سورة النساء: الآية 33.

ثم أنها محكمة، وبهذا فلايلزم ماقاله ابن جرير أنها تعنى النصرة والمعونة فقط لعدم وجود التخصيص، والأصل أخذ الكلام بعمومه مالم يخصص وقد كان الأمران جميعا من الحلف" فكان حلف في النصرة وكذلك في الميراث"، ولايلزم من قول ابن كثير: أنها تعنى الأمرين النصرة والميراث، أن الآية منسوخة، فخلافهم في أن الآية عنت الحلف على الميراث أو على النصرة والمعونة أو عليهما جميعا لايضر على نسخ الآية أو إحكامها ففي الأمرين جائز النسخ والإحكام، إلا أن يكون الأمر القول الذي أشرت إليه وهو أن ابن جرير لايقصد " ميراث الحلف" بهذه القرينة إذ لاتعارض بين كلامه وبين ماأنكر، ولكن يقصد أن الآية لاتعنى " الميراث الذي كان سببه المآخاة بين المهاجرين والأنصار"

خامسا: لم يكن أمر الحلف من أمر الإسلام حتى يأتى حكم فينسخه، فالنسخ لايكون إلا لحكم ثبت أصلا في الإسلام ثم رفع بعد ذلك بحكم آخر متراخ عنه،

مثل التبني فكان أهل الجاهلية يتبنون أبناءغيرهم، وكانوا ينسبون الدعي للمتبنى، وقد تبنى النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة زيد بن حارثة وكان يدعى بزيد بن محمد صلى الله عليه وسلم، حتى نهى الله تبارك وتعالى عن ذلك بقوله:(ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم)[90].فهل نقول هذه الآية نسخت التبنى؟ لا، لأن التبني لم يكن مشروعا في الإسلام حتى يرفع بحكم آخر إنما كان من أمر الجاهلية ولم يكن من أمر الإسلام.

قال ابن القيم: (ما كان مستصحبا بالبراءة الأصلية فهذا لا يلزم من رفعه بقاء شيء منه لأنه لم يكن مصلحة لهم وإنما أخر عنهم تحريمه إلى وقت لضرب من المصلحة في تأخير التحريم ولم يلزم من ذلك أن يكون مصلحة حين فعلهم أياه وهذا كتحريم الربا والمسكر وغير ذلك من المحرمات التي كانوا يفعلونها استصابا لعدم التحريم فإنها لم تكن مصلحة في وقت ولهذا لم يشرعها الله تعالى ولهذا كان رفعها بالخطاب لا يسمى نسخا إذ لو كان ذلك نسخا لكانت الشريعة كلها نسخا وإنما النسخ رفع الحكم الثابت بالخطاب لا رفع موجب الاستصحاب وهذا متفق عليه)[91]

---

[90]سورة الأحزاب: الآية 5.

[91] مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ج2، ص34.

سادسا : تعدد الناسخ من موانع النسخ: الذي قالوا بأن الآية ناسخة ذكروا أقولا: منها أن الآية نسخ أولها آخرها أو العكس،أومنسوخة كلها[92]، وقيل نسختها الآية "75" من سورة الأنفال[93]، وقيل سختها الآية "6" من سورة الأحزاب[94]. فهذا الإحتمال في حد ذاته مما يمنع القول بنسخ الآية.

سابعا: القاعدة تقول:" الأصل عدم النسخ"[95] :

وهو أن دعوى للنسخ لاتتحقق فيها شروطه المعتبرة تكون مردودة بهذه القاعدة ، ويكون المدعي مطالبا بالدليل المصحح دعوه[96].

قال الناظم[97]:

والأصل أن لانسخ حتى يثبتا *** بالوحي أو بصاحب قد أثبتا

كذا بالإجماع أو التعارض *** حقيقة وماسواه فارفض

وقال الآخر[98]:

وعدم النسخ هو الأصل *** فمن يدع نسخا فبتبين قمن

وقال آخر[99]:

والأصل في النص فلا نسخ علم *** ذا مطلق في وحينا فيما سلم

ثامنا : القاعدة تقول:"النسخ لايثبت مع الإحتمال"[100]:

لابد في النسخ من دليل يدل عليه سواء من الآية نفسها أو بواسطة النقل الصريح عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة ، أو إجماع الأمة ، أو عن طريق وقوع التعارض الحقيقي مع معرفة التاريخ ، إذ أن هذا دليل على النسخ ، كما أنه في الوقت نفسه من الشروط الازمة للقبول به

---

[92] مصدر سابق، الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص165.
[93] مصدر سابق، فتح القدير، ج1، ص531.
[94] مصدر سابق، تفسير القرآن العظيم، ج6، ص381.
[95] مصدر سابق، فتح الباري، ج1، ص96.
[96] قواعد التفسير، خالد السبت،درا ابن عفان للنشر والتوزيع و دار ابن القيم للطبع والنشر، ط: الأولى، ت.ط: 1434ه/2013م ، ج2، ص298.
[97] تحفة الأسير في قواعد التفسير، عبد الرحمن السديس، ص26.
[98] المعين في المسير لمبتغى قوعد التفسير، سيد محمد بن محمد المختار الشنقيطي، ص27.
[99] نثر العبير في منظومة قواعد التفسير، أبي الفض عمر بن مسعود الحدوثى، ص79.
[100] مصدر سابق، إعلام الموقعين ، ج3، ص38.

قال الناظم[101]:

والنسخ عنهم للدليل تال *** فليس يثبت بالاحتمال

وقال آخر[102]:

لايثبت النسخ مع احتمالنا *** إلا بنص ثابت في شرعنا

قال الشاطبي:(الأحكام إذا ثبتت على المكلف؛ فادعاء النسخ فيها لا يكون إلا بأمر محقق لأن ثبوتها على المكلف أولا محقق؛ فرفعها بعد العلم بثبوتها لا يكون إلا بمعلوم محقق)[103].

قال ابن القيم:(ولو جاز قبول دعوى النسخ بلا حجة لكان كل من احتج عليه بنص يقول: هو منسوخ، وكأن القائل لذلك لم يعلم أن معنى كون النص منسوخا: أن الله سبحانه حرم العمل به، وأبطل كونه من الدين والشرع، ودون هذا مفاوز تنقطع فيها الأعناق)[104].

قال ابن القيم : (فإذا رأينا أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – قد اختلفوا في أمر قد صح عن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – أنه فعله وأمر به، فقال بعضهم: إنه منسوخ أو خاص، وقال بعضهم هو باق إلى الأبد، فقول من ادعى نسخه أو اختصاصه مخالف للأصل، فلا يقبل إلا ببرهان، وإن أقل ما في الباب معارضته بقول من ادعى بقاءه وعمومه)[105].

قال ابن تيمية:(وما ثبت من الأحكام بالكتاب والسنة، لا يجوز دعوى نسخه بأمور محتملة للنسخ وعدم النسخ، وهذا باب واسع قد وقع في بعضه كثير من الناس) [106]

تاسعا : ماكان من حلف قبل الإسلام يحفظ له حقه ويوفى بعهده، ولكن لايجوز بعد هذه الآية الحلف في الإسلام، وخطئ قول من قال: نسخ الحلف في المستقبل وحكم الماضي فلاتوارث بينهما. لأننا لو قلنا بذلك لخالفنا نص الآية ،لأن الآية أمرتنا بإيفاءالعقد الذي بيننا في الجاهلية، فماكان من حلف قبل نزول هذه الآية فالحلف على ماكان، وماكان بعدها فلاتسعه إلا هذه الآية. قال الألباني: إنما زجرهم عن إنشاء الحلف في الإسلام لا فسخ ما كانوا عليه في الجاهلية وهذا

---

[101] مصدر سابق، المعين في المسير لمبتغى قوعد التفسير، ص27.

[102] مصدر سابق، نثر العبير في منظومة قواعد التفسير، ص79.

[103]الموافقات، الشاطبي ،المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان ،ط: الأولى 1417هـ/ 1997م،ج3،ص339.

[104] الطرق الحكمية، ابن القيم الجوزية ، الناشر: مكتبة دار البيان، ج1، ص156.

[105] مصدر سابق، زاد المعاد، ج2، ص178.

[106] مصدر سابق، فتاوى ابن تيمية، ج5، ص107.

الأثر يؤيد الذي ذكرقال عليه الصلاة والسلام: «ما كان من ميراث قسم في الجاهلية فهو على قسمة الجاهلية ، وما كان من ميراث أدركه الإسلام فهو على قسمة الإسلام» [107].

عاشرا: لاتصح دعوى النسخ في آية من كتاب الله إلا إذا صح التصريح بنسخها أو انتفى حكمها من كل وجه[108].

قال حسين الحربي:" إذا تنازع المفسرون في آية من كتاب الله تعالى فمدع عليها النسخ ومان منه فأصح الأقوال المنع منه إلا بثبوت التصريح بنسخها أو انتفاء حكمها من كل وجه ، وامنتناع الجمع بينها وبين ناسخها أو كان انتفاء الحكم في بعض الأوجه دون بعض كالتخصيص ونحوه"[109].

قال ابن حزم :" لا يحل لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقول في شيء من القرآن والسنة هذا منسوخ إلا بيقين لأن الله عز وجل يقول {وما أرسلنا من رسول ألا ليطاع بإذن لله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جآءوك فستغفروا لله وستغفر لهم لرسول لوجدوا لله توابا رحيما} وقال تعالى {قل من حرم زينة لله لتي أخرج لعباده والطيبات من لرزق قل هي للذين آمنوا في لحياة لدنيا خالصة يوم لقيامة كذلك نفصل لآيات لقوم يعلمون} فكل ما أنزل الله تعالى في القرآن أو على لسان نبيه ففرض اتباعه فمن قال في شيء من ذلك إنه منسوخ فقد أوجب ألا يطاع ذلك الأمر وأسقط لزوم اتباعه وهذه معصية لله تعالى مجردة وخلاف مكشوف إلا أن يقوم برهان على صحة قوله وإلا فهو مفتر مبطل ومن استجاز خلاف ما قلنا فقوله يؤول إلى إبطال الشريعة كلها لأنه لا فرق بين دعواه النسخ في آية ما أو حديث ما وبين دعوى غيره والنسخ في آية ما أو حديث ما وبين دعوى غيره النسخ في آية أخرى ة وحديث آخر فعلى هذا لا يصح شيء من القرآن والسنة وهذا خروج عن الإسلام وكل ما ثبت بيقين فلا يبطل بالظنون ولا يجوز أن تسقط طاعة أمر أمرنا به الله تعالى ورسوله إلا بيقين نسخ لا شك فيه"[110].

الخلاصة: 1/ ماذهب إليه ابن جرير هو الأظهر.

---

[107] . مصدر سابق، الجامع الصغير،ج2،ص987.

[108] قوعد الترجيح عند المفسرين، حسين بن على الحربي، دار القاسم للنشر، ط: الأولى، 1417ه/ 1996م، ج1، ص71.

[109] المصدر السابق، ج1، ص72.

[110] الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم،المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر، قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت، ج4، ص3.

الشاهد الثانى: وقوله تعالى:(وآتوا حقه يوم حصاده)[111]

تحرير نقطة الخلاف:

يرى الإمام ابن جرير أن الآية قد نسخت بالعشر وربع العشر، أما ابن كثير فلايرى هذا نسخا.

الآثار الواردة في ذلك والحكم عليها:

الأثر الأول: روى الإمام أحمد وأبو داود في سننه من حديث محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن يحيى بن حبان، عن عمه واسع بن حبان، عن جابر بن عبد الله، أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر من كل جاد عشرة أوسق من التمر بقنو يعلق في المسجد للمساكين.

الحكم على الحديث:

قال ابن كثير: وهذا إسناد جيد قوي[112]. قال الألبانى: حديث صحيح، وصححه ابن حبان والحاكم، إسناده: حدثنا عبد العزيز بن يحيى الحَرَاني: حدثني محمد بن سَلَمَةَ عن محمد بن إسحاق عن محمد بن يحيى بن حَبانَ عن عمه واسع بن حَبَّانَ عن جابر بن عبد الله. وهذا إسناد رجاله موثقون رجال مسلم؛ غير الحراني، فهو صدوق ربما وهم، لكنه قد توبع[113].

الأثر الثاني:حديث ابن لهيعة: عن دراج عن أبي الهيثم عن سعيد مرفوعا، وآتوا حقه يوم حصاده قال ما سقط من السنبل.

الحكم على الحديث:

قال الألباني: دراج هذا قال الحافظ في "التقريب":"صدوق في حديثه عن أبي الهيثم ضعف". ولذلك تعقب الذهبي الحاكم بقوله: "قلت: دراج كثير المناكير".قلت: ومن مناكيره حديث: "أكثروا ذكر الله حتى يقولوا: مجنون"![114]

حجة ابن جرير:

قال أبو جعفر: "وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: كان ذلك فرضا فرضه الله على المؤمنين في طعامهم وثمارهم التي تخرجها زروعهم وغروسهم، ثم نسخه الله بالصدقة

---

[111] سورة الأنعام:الآية 141

[112] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج3، ص313.

[113] مصدر سابق، صحيح سنن ابي داود، ج، ص359.

[114] تمام المنة في التعليق على فقه السنة، الألباني الناشر: دار الراية،ط: الخامسة،ج1،ص292.

سورة ن:الآيات 17- 33.

المفروضة، والوظيفة المعلومة من العشر ونصف العشر وذلك أن الجميع مجمعون لا خلاف بينهم"[115].

حجة ابن كثير:

قال ابن كثير حاكيا عن قوله تعالى: "وآتوا حقه يوم حصاده" هذا كله شيء كان واجبا، ثم نسخه الله بالعشر ونصف العشر. حكاه ابن جرير عن ابن عباس، ومحمد بن الحنفية، وإبراهيم النخعي، والحسن، والسدي، وعطية العوفي. واختاره ابن جرير، رحمه الله. قلت: وفي تسمية هذا نسخا نظر؛ لأنه قد كان شيئا واجبا في الأصل، ثم إنه فصل بيانه وبين مقدار المخرج وكميته. قالوا: وكان هذا في السنة الثانية من الهجرة، فالله أعلم"[116].

توجيه كلام الإمامين:

يرى الإمام ابن جرير أن منذ نزول الآية " وآتوا حقه يوم حصاده" وجبت عليهم الزكاة ثم نسخت بالمقادير، وهذا الذي قاله فيه وجاهة وليس ببعيد لأنه بنزول الآية وجبت الزكاة ثم أتى الأمر من النبي صلى الله عليه وسلم بالمقادير للزكاة التى شرعت سابقا، فكون الآية دلت على وجوب الزكاة أمر واضح، ثم يصبح الخلاف هل فرض لمقادير تعتبر نسخا للآية أم هي توضيح لها والصواب أن ذلك ليس نسخا بل توضيح وبيان فمن المعلوم إذا كان الحكم الذي نزل متأخرا يخالف الأول ويعارضه وليس بينهما وجه جمع فهذا نسخ، أما إذا كان الذي نزل متأخرا يشرح ويوضح ويبين الذي سبق حكمه ولايعارضه فهذا لايعتبر نسخا بل توضيح وإكمال للحكم.كمافي **قاعدة:"الزيادة على النص إن رفعت حكما شرعا فهي نسخ ، وإن رفعت حكما عقليا فليست بنسخ"** [117]: قال الشنقيطي:"وقسم لا تكون الزيادة فيه مخالفة للنص، بل تكون زيادة شيء سكت عنه النص الأول، وهذا لا يكون نسخا، بل بيان حكم شيء كان مسكوتا عنه ; كتغريب الزاني البكر، وكالحكم بالشاهد واليمين في الأموال. فإن القرآن في الأول: أوجب الجلد وسكت عما سواه، فزاد النبي حكما كان مسكوتا عنه، وهو التغريب. كما أن القرآن في الثاني فيه: "فإن لم يكونا رجلين فرجل

[115] مصدر سابق، تفسير الطبري، ج12، ص171.
[116] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج3، ص349.
[117] مصدر سابق، إعلام الوقعين ،ج2، ص306.

وامرأتان"[118] ، وسكت عن حكم الشاهد واليمين، فزاد النبي – صلى الله عليه وسلم – حكما كان مسكوتا عنه ; وإلى هذا أشار في مراقي السعود بقوله:

وليس نسخا كل ما أفادا ... فيما رسا بالنص إلا ازديادا[119].

قال ابن القيم:"أن الناسخ والمنسوخ لا بد أن يتواردا على محل واحد يقتضي المنسوخ ثبوته والناسخ رفعه، أو العكس، وهذا غير متحقق في الزيادة على النص"[120].

وهذه القاعدة توافق هذه الآية، الت نحن بصدد الكلام عنها لأن الآية أمرت بالزكاة دون تحديد المقادير، ثم أتت السنة بالتفصيل،والتخصيص والتوضيح لحكم الزكاة،ومقاديرها وهو قوله عليه الصلاة والسلام:«فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا[121] العشر، وما سقي بالنضح نصف العشر»[122] فهذا يعتبر زيادة في النص الأول ،وتفصيلا ولا يعتبر نسخا والله أعلم.

قال الشيخ خالد السبت: والزيادة على النص لاتكون ناسخة له إلا إن كانت مثبتة شيئا قد نفاه النص ، أو نافية شيئا أثبته النص، أما إذا كانت الزيادة شيئا سكت عنه النص السابق، ولم يتعرض لنفيه ولا لإثباته ، فالزيادة حينئذ إنما هي رافعة للبراءة الأصلية ، وهي المعروفة في الأصول" الإباحة العقلية " وهي بعينها "استصحاب العدم الأصلى" حتى يرد دليل ناقل عنه[123].

الخلاصة:

1/ الأقوال المذكورة مجملها قولين: الأول:هي الزكاة المفروضة ، والآثار التى تأيد هذا القول كلها ضعيفة كما بينا سابقا في الحكم على الآثار، والقول الثانى:"أنها سوى الزكاة". وقد وردت بعض الآثار التى تأيد ذلك وصح منها مايؤيد ذلك فهو القول الراجح في القولين، وثمرة الخلاف في ذلك ، أننا لو قلنا أنها الزكاة المفروضة ينصب الذهب إلى الزكاة ذات المقادير المعروفة والتى يخرجها المسلمون الآن، وفي هذا إعتراض وهو أن الزكاة ذات المقادير لم تفرض عند نزول

---

[118] سورة البقرة ، الآية 282.

[119] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي ،الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، عام النشر : 1415 هـ - 1995م، ج2،ص452.

[120] مصدر سابق ،ج2، ص230.

[121] عثريا: بفتح العين المهملة والثاء المثلثة المخففة وكسر الراء وتشديد الياء آخر الحروف: وهو ما يشرب بعروقه من غير سقي، قاله الخطابي. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت،ج9،ص72.

[122] مصدر سابق، صحيح البخاري،رقم الحديث 1483،ج2، ص126.

[123] مصدر سابق، قواعد التفسير، ج2، ص299.

الآية بل بعدها بكثير، ولو قلنا بالقول الثانى: وهو أمر سوى الزكاة، دل هذا على أن الزكاة ذات المقادير لم تفرض بعد، إنما أمروا بالإنفاق عند الحصاد بأشكاله وأنوعه، ثم بعد ذلك فرضت الزكاة ذات المقادير : وهذا مايفسر لك أقوال القائلين بأنها "سوى الزكاة "، فتجدهم يذكرون من الأقوال في معنى الآية منها[124]: "إذا حضرك المساكين طرحت لهم منه" أو "كان هذا قبل الزكاة، للمساكين القبضة والضغث لعلف دابته".أو" ما سقط من السنبل". فهذا يعتبر تفسير بالمثال، وهو من إختلاف التنوع في التفسر.

2/ الإمامان متفقان على أن الزكاة مرت بمراحل عدة.

3/ ويتفقان كذلك على أن آخر شيئ يتعبد الله به من أمر الزكاة أنها الزكاة ذات المقادير التى ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في السنة النبوية هي العشر، ونصف العشر.

4/ ويتفقان على أن الأمر بالزكاة مقدم على مقاديرها.

5/ ويتفقان على أن الزكاة كانت شيئا غير مقدر فكانوا يخرجونها على قدر مايملكون وعلى مايستطيعون، حتى أتت ففرضت المقادير.

6/ ثم يختلفان هل فرض المقادير في الزكاة يعتبر نسخا لما كانوا يخرجون قبل المقادير أم لا؟ فيرى الإمام ابن جرير أنها هذا نسخ ويرى الحافظ ابن كثير أن هذا ليس بنسخ.

7/ الراجح قول الحافظ ابن كثير وقد سبق تفصيل ذلك.

[124] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج3، ص313.

المبحث الثاني

أسباب النزول

الشاهد الأول:

قال تعالى:(ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)[125].

تحرير نقطة الخلاف:

رجح الإمام ابن جرير أن سبب نزول هذه الآية "أن ذلك تكذيب من الله تعالى لقول من قال الرجل في جوفه قلبان يعقل بهما"، ويرى ابن كثير أنها نزلت في شأن زيد بن حارثة رضي الله عنه مولى النبي صلى الله عليه وسلم، كان النبي صلى الله عليه وسلم قد تبناه قبل النبوة، فكان يقال له زيد بن محمد، فأراد الله تعالى أن يقطع هذا الإلحاق وهذه النسبة بقوله تعالى:"وما جعل أدعياءكم أبناءكم "

الأقوال الواردة في الآية ومناقشتها :

القول الأول:"نزلت في شأن زيد بن حارثة رضي الله عنه"[126].

القول الثاني: "نزلت في رجل من قريش كان يقال له ذو القلبين"[127].

القول الثالث: "قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يصلي فخطر خطرة، فقال المنافقون الذين يصلون معه: ألا ترون له قلبين: قلبا معكم وقلبا معهم، فأنزل الله تعالى: ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه"[128].

حجة ابن جرير:

قال أبو جعفر:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك تكذيب من الله تعالى قول من قال لرجل في جوفه قلبان يعقل بهما، على النحو الذي روي عن ابن عباس، وجائز أن يكون

---

[125] سورة الأحزاب: الآية 4.
[126] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج6، ص376.
[127] المصدر السابق،ج6، ص376.
[128] المصدر السابق، ج6، ص376.

ذلك تكذيبا من الله لمن وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، وأن يكون تكذيبا لمن سمى القرشي الذي ذكر أنه سمي ذا القلبين من دهيه، وأي الأمرين كان فهو نفي من الله عن خلقه من الرجال أن يكونوا بتلك الصفة"[129].

حجة ابن كثير:

قال ابن كثير:"يقول تعالى موطئا قبل المقصود المعنوي أمرا معروفا حسيا، وهو أنه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه ولا تصير زوجته التي يظاهر منها بقوله أنت علي كظهر أمي أما له، كذلك لا يصير الدعي ولدا للرجل إذا تبناه فدعاه ابنا له، فقال ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم كقوله عز وجل:"ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم"[130]، وقوله تعالى:"وما جعل أدعياءكم أبناءكم" هذا هو المقصود بالنفي، فإنها نزلت في شأن زيد بن حارثة رضي الله عنه مولى النبي صلى الله عليه وسلم، كان النبي صلى الله عليه وسلم قد تبناه قبل النبوة، فكان يقال له زيد بن محمد، فأراد الله تعالى أن يقطع هذا الإلحاق وهذه النسبة بقوله تعالى:"وما جعل أدعياءكم أبناءكم ""[131].

توجيه قول الإمامين:

القصة التى استدل بها ابن جرير قصة لاتصح وهذا من الإشكالات في التوجيه، أما توجيه ابن كثير فالآثار التى ذكرها صحيحة ،والذي يظهر لي مارجحه الحافظ ابن كثير وهو القول الأول وذلك لقوله تعالى:" ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما" وكذلك ذكر قصة زواج النبي صلى الله عليه وسلم من زينب بن جحش بعد مفارقتها لزيد بن حارثة كما قال تعالى:"وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في

[129] مصدر سابق، تفسير الطبري، ج20، ص205.
[130] سورة المجادلة: الآية 2.
[131] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج6، ص376.

نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا".

الخلاصة:

1/ ماذهب إليه ابن كثير أقرب لسياق الآية.

الشاهد الثاني:

قال تعالى:(وفديناه بذبح عظيم)[132] .

تحقيق نقطة الخلاف:

يرجح ابن جرير أن الذبيح اسحاق عليه الصلاة السلام، ويرجح ابن كثير اسماعيل عليه الصلاة السلام.

الآثار الواردة بأن الذبيح هوإسحاق عليه الصلاة والسلام:

الأثر الأول: وقال شعبة عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص قال افتخر رجل عند ابن مسعود رضي الله عنه فقال: أنا فلان بن فلان ابن الأشياخ الكرام، فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله

حكم الأثر:

قال ابن كثير: وهذا صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه.وقد بين الألباني ماأجمله ابن كثير في حكم هذا الحديث. قال الألباني: قلت: والحديث صحيح مرفوعا دون قوله: " إن إسحاق ذبيح الله "، فإن هذه الزيادة منكرة .فالألباني يوضح ويبين ماقصده الحافظ ابن كثيرويخبر بأن الزيادة منكرة. الخلاصة: الحديث بهذه الزيادة لايصح.

[132] سورة الصافات: الآية 107.

الأثر الثاني: قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن الوزير الدمشقي، حدثنا الوليد ابن مسلم حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة:(إن الله تبارك وتعالى خيرني بين أن يغفر لنصف أمتي، وبين أن يجيب شفاعتي، فاخترت شفاعتي ورجوت أن تكون أعم لأمتي، ولولا الذى سبقني إليه العبد الصالح لتعجلت فيها دعوتي، إن الله تعالى لما فرج عن إسحاق كرب الذبح، قيل له: يا إسحاق سل تعط، فقال: أما والذي نفسي بيده لأتعجلنها قبل نزغات الشيطان:اللهم من مات لا يشرك بك شيئا فاغفر له وأدخله الجنة).

حكم الأثر:

قال ابن كثير:(هذا حديث غريب منكر، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف الحديث، وأخشى أن يكون في الحديث زيادة مدرجة وهي قوله: " إن الله لما فرج عن إسحاق ... " إلخ).

قال الألباني:(وما خشي ابن كثير بعيد، فإن الزيادة المذكورة لها صلة تامة بقوله قبلها: ولولا الذي ... فهي كالبيان له. وعبد الرحمن بن زيد ضعيف جدا، قال الحاكم: روى عن أبيه أحاديث موضوعة، لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه.وهو راوي حديث توسل آدم بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو حديث موضوع ، وذكرت هناك احتمال كونه من الإسرائيليات، أخطأ في روايته عبد الرحمن بن زيد فرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأقول هنا: إن هذه الزيادة في الحديث هي من الإسرائيليات أيضا بدليل أن كعب الأحبار حدث بها أبا هريرة كما أخرجه الحاكم (2 / 557) بسنده إلى كعب ثم قال عقبه: هذا إسناد صحيح لا غبار عليه ووافقه الذهبي. (إذن الزيادة " لما فرج عن إسحاق كرب الذبح " غير الذي صححه الحاكم ووافقه الذهبي).

حجة ابن جرير:

قال أبو جعفر:" وأولى القولين بالصواب في المفدي من ابني إبراهيم خليل الرحمن على ظاهر التنزيل قول من قال: هو إسحاق، لأن الله قال: (وفديناه بذبح عظيم) فذكر أنه فدى الغلام الحليم الذي بشر به إبراهيم حين سأله أن يهب له ولدا صالحا من الصالحين، فقال: (رب هب لي من

الصالحين) فإذ كان المفدي بالذبح من ابنيه هو المبشر به، وكان الله تبارك اسمه قد بين في كتابه أن الذي بشر به هو إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، فقال جل ثناؤه: (فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب) وكان في كل موضع من القرآن ذكر تبشيره إياه بولد، فإنما هو معني به إسحاق، كان بينا أن تبشيره إياه بقوله (فبشرناه بغلام حليم) في هذا الموضع نحو سائر أخباره في غيره من آيات القرآن."[133].

حجة ابن كثير:

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرا عن خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه بعد ما نصره الله تعالى على قومه وأيس من إيمانهم بعد ما شاهدوا من الآيات العظيمة هاجر من بين أظهرهم وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين يعني أولادا مطيعين عوضا من قومه وعشيرته الذين فارقهم، قال الله تعالى: فبشرناه بغلام حليم وهذا الغلام هو إسماعيل عليه السلام فإنه أول ولد بشر به إبراهيم عليه السلام وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب بل في نص كتابهم أن إسماعيل عليه السلام ولد ولإبراهيم عليه السلام ست وثمانون سنة وولد إسحاق وعمر إبراهيم عليه الصلاة والسلام تسع وتسعون سنة، وعندهم أن الله تبارك وتعالى أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيده وفي نسخة أخرى بكره فأقحموا هاهنا كذبا وبهتانا إسحاق ولا يجوز هذا لأنه مخالف لنص كتابهم وإنما أقحموا إسحاق لأنه أبوهم وإسماعيل أبو العرب فحسدوهم فزادوا ذلك وحرفوا وحيدك بمعنى الذي ليس عندك غيره فإن إسماعيل كان ذهب به وبأمه إلى جنب مكة وهذا تأويل وتحريف باطل فإنه لا يقال «وحيد» إلا لمن ليس له غيره، وأيضا فإن أول ولد له معزة ما ليس لمن بعده من الأولاد فالأمر بذبحه أبلغ في الابتلاء والاختبار"[134].

توجيه قول الإمامين:

[133] مصدر سابق، تفسير ابن جرير، ج21، ص87.
[134] المصدر السابق، ج7، ص33.

كل من الإماميين وضح حجج وعلل فابن جرير نصر قوله أن الذبيح "إسحاق "عليه السلام، وفند الحجج التى احتج بها من ذكر أن الذبيح " إسماعيل"، وكذلك ابن كثير نصر قوله وفند حجج الخصم، والذي ظهر لى قوة الحجة في كلام من بن كثير وذلك لمايلي:

1/ القول بأن الذبيح إسحاق هو من أقوال السلف وليس قولا محدث ولكنه مرجوح .

2/ الآثار الواردة في أن الذبيح إسحاق كلها لاتصح كما ذكر الحافظ ابن كثير والإمام الألباني رحمهما الله .

3/سياق الآيات يقوى أن الذبيح إسماعيل.

4/ قد تأول الإمام ابن جرير أن الذي بشر به إبراهيم في القرآن الكريم هو الذبيح ويستدل بالآية في سورة هود قال تعالى:(ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ * فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط * وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب * قالت ياويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب) فالذي بشرت بالولد في هذه الآية هي سارا قال ابن كثير:(فضحكت سارة استبشارا منها بهلاكهم، لكثرة فسادهم) . والذي بشرت به هو إسحاق.وكذلك البشارة في سورة الذاريات قال تعالى:(هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين * إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون * فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين * فقربه إليهم قال ألا تأكلون* فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم * فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم * قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم) .فالذي بشر به هو إسحاق وسياق الآيات يدل على أنها كانت مرتبطة بقصة إهلاك قوم لوط وتبشير الملائكة بذلك ويفهم من ذلك أن مكان البشارة هي الشام إذ هي مقامهم ،والبشارة تكن أكثر مكانة في قلب من يئس من الشيئ وقطعت في نظره أسباب الإيجاد للمولود وهذا لاينطبق على هاجر أم إسماعيل لأنها لم تلد وهي كبيرة السن بل التى ولدت وهي كبيرة السن هي سارا أم إسحاق فالبشارة في حقها أوضح وأبين وعلى هذا فالذي ذكرت البشارة في حقه وهو إسحاق ،وليست هناك

قرينة تبين أن المبشر به هو الذبيح ، بل نقول المبشر بولادته إسحاق والمأمور بذبحه إسماعيل والله أعلم.

الخلاصة:

ماذهب إليه ابن كثير هو الأصوب.

الشاهد الثالث:

قال تعالى:(.. وويل للمشركين * الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون)[135]

تحرير نقطة الخلاف:

رجح ابن جرير أن الآية عنت زكاة المال، وابن كثير يعترض ذلك.

حجة ابن جرير:

قال أبو جعفر: "والصواب من القول في ذلك ما قاله الذين قالوا: معناه: لا يؤدون زكاة أموالهم; وذلك أن ذلك هو الأشهر من معنى الزكاة، وأن في قوله: "وهم بالآخرة هم كافرون" دليلا على أن ذلك كذلك، لأن الكفار الذين عنوا بهذه الآية كانوا لا يشهدون أن لا إله إلا الله، فلو كان قوله:"الذين لا يؤتون الزكاة"مرادا به الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله لم يكن لقوله: "وهم بالآخرة هم كافرون" معنى، لأنه معلوم أن من لا يشهد أن لا إله إلا الله لا يؤمن بالآخرة، وفي إتباع الله قوله: "وهم بالآخرة هم كافرون" قوله "الذين لا يؤتون الزكاة" ما ينبئ عن أن الزكاة في هذا الموضع معني بها زكاة الأموال"[136].

حجة ابن كثير:

قال ابن كثير: قال قتادة: يمنعون زكاة أموالهم، وهذا هو الظاهر عند كثير من المفسرين، واختاره ابن جرير. وفيه نظر؛ لأن إيجاب الزكاة إنما كان في السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة، على

[135] سورة فصلت: الآية 7/6.
[136] مصدر سابق، تفسير الطبري، ج21، ص431.

ما ذكره غير واحد وهذه الآية مكية، اللهم إلا أن يقال: لا يبعد أن يكون أصل الزكاة الصدقة كان مأمورا به في ابتداء البعثة، كقوله تعالى: {وآتوا حقه يوم حصاده}[137]، فأما الزكاة ذات النصب والمقادير فإنما بين أمرها بالمدينة، ويكون هذا جمعا بين القولين، كما أن أصل الصلاة كان واجبا قبل طلوع الشمس وقبل غروبها في ابتداء البعثة، فلما كان ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة ونصف، فرض الله على رسوله [صلى الله عليه وسلم]الصلوات الخمس، وفصل شروطها وأركانها وما يتعلق بها بعد ذلك، شيئا فشيئا، والله أعلم"[138].

توجيه قول الإمامين:

يرى ابن جريرأن قوله تعالى " لا يؤدون الزكاة" زكاة أموالهم، مسترشدا بقوله تعالى" وهم بالآخرة هم كافرون" لم يكن لقوله:"وهم بالآخرة هم كافرون) معنى، لأنه معلوم أن من لا يشهد أن لا إله إلا الله لا يؤمن بالآخرة.وهذا الذي استدل به ابن جرير غير مسلم به ، وهو: أي أن هؤلاء من لم يزكوا أنفسهم بالإيمان و كفرهم باليوم الآخر، والربط بين الكفر بالله واليوم الآخر موجود في سياقات القرآن الكريم، قال تعالى:"قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر"[139] قال تعالى:"ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر"[140] وقال تعالى:" والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر"[141]. فهذه السياقات في القرآن الكريم ومثلها في السنة لهي كافية من رد من يقول لامعنى من ذكر الكفر باليوم الآخر لالطالما لم يؤمنوا بالله تعالى، فإنه ليس في الأمرتعارض. إذن لهذه ليس الحجة ساق تسير عليه ولا عصا تتكئ عليها والله المستعان.

---

[137] سورة الأنعام:الآية 141.

[138] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج7، ص164.

[139] سورة التوبة:الآية 29.

[140] سورة البقرة : الآية 228.

[141] سورة النساء: الآية 38.

والأمر الآخر: أن دلالة العموم لابد من النظر إليها وهي أننا لو قلنا أن الزكاة في الآية هي التطهير من الشرك والكفر والمعاصى فإننا أدخلنا الزكاة المفروضة في المال ضمنا، واستصحبنا جميع المعانى للآية دون رد بعضها.

الخلاصة:

1/ هذه الأقوال الأربعة تجمع على قولين. الأول: أن الزكاة المقصودة في الآية تزكية النفس من أدران الشرك والكفر والمعاصي وتطهيرها بالطاعات والقربات وجميع أنوع البر بما فيها زكاة المال وعلى هذا فهي الأعم والأشمل. والثاني:المقصود بالزكاة في الآية زكاة المال فقط.

2/ ابن جرير يرجح ويختار أن المقصود بالآية زكاة المال، ولكن لايزال التساؤل قائم وهو أن الآية نزلت قبل أن تفرض الزكاة. وللإجابة عن هذا التساؤل لابد من الإشارة لأمرين:

الأول: الخطاب ليس في زكاة المال فحسب بل يدخل في جميع أنواع الزكاة إذ كلها تطهير للنفس من المعاصي جمعيها، وبهذا تدخل زكاة المال ضمنا على أنواع الزكاة وهذا قول وجيه في نظري لأنه أعم وأشمل.

والثاني: أن المقصود بالزكاة زكاة المال، ولو قلنا بهذا الرأي لابد أن نقول أن الآية نزلت قبل أن تفرض الزكاة وهذا ماأشار إليه الحافظ ابن كثير في كلامه السابق.

فلو قلنا بهذا الرأي لابد أن نوجه هذا التسائل توجيها يشفي العليل وهذا ماحكاه الزركشي حيث قال: (واعلم أنه قد يكون النزول سابقا على الحكم وهذا كقوله تعالى {قد أفلح من تزكى} فإنه يستدل بها على زكاة الفطر روى البيهقي بسنده إلى ابن عمرأنها نزلت في زكاة رمضان ثم أسند مرفوعا نحوه وقال بعضهم لا أدري ما وجه هذا التأويل لأن هذه السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة وأجاب البغوي في تفسيره انه يجوز أن يكون النزول سابقا على الحكم كما قال تعالى:"لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد"فالسورة مكية وظهور أثر الحل يوم فتح مكة حتى: قال عليه السلام: "أحلت لي ساعة من نهار" وكذلك نزل بمكة "سيهزم الجمع ويولون الدبر".قال عمر بن الخطاب: كنت لا أدري: أي الجمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول: "سيهزم الجمع ويولون الدبر"[142][143] وأخيرا الذي يظهر لي أن الآية عامة وتخصيصها على أنها زكاة المال تحتاج إلى كثير أدلة ولكن الأمرين محتملين على أن تكون زكاة مال أو زكاة عامة ولكن الذي يميل إليه قلبي أن الآية عامة وأن زكاة المال متضمنة لها داخلة فيها والله أعلم.

[142] سورة القمر: الآية 45.

[143] معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، المحقق : عبد الرزاق المهدي، الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط: الأولى ، 1420هـ،ج5، ص243.

المبحث الثالث

القراءات

الشاهد الأول:

قوله تعالى: {ولا تسأل عن أصحاب الجحيم}[144]

تحرير نقطة الخلاف:

قرءت الآية قرائتان ،الأولى: على الرفع، والثانية: على الفتح. ، واختار ابن جرير قراءة الفتح ،وقدمها على الأخرى وبرر لذلك،فخالفه ابن كثير في ذلك.

دراسة الآثار الواردة في الآية والحكم عليها :

الأثرالأول:

"حد ثنا وكيع، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب القرظي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا ليت شعري ما فعل أبواي» فأنزل الله جل وعز: يا محمد "إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم" قال: فما ذكرهما حتى مات صلى الله عليه وسلم "[145].

الحكم على الأثر:

هذا الأثر ضعيف. وذلك لعلتان : الأولى: الإرسال، قال الحافظ ابن كثير:"هذا مرسل"[146]. والثانية: وجود:"موسى بن عبيدة" قال الألباني:"موسى بن عبيدة" ضعيف كما جزم الحافظ فى " التقريب ".وقال الذهبى فى " الضعفاء والمتروكين ": " ضعفوه , وقال أحمد: لا تحل الرواية عنه "[147].

الأثر الثاني:

---

[144] سورة البقرة: الآية 119.
[145] سورة البقرة: الآية 119.
[146] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج1، ص295.
[147] مصدر سابق، إرواء الغليل، ج5، ص222.

روى ابن جرير: وحدثني القاسم، حدثنا الحسين، حدثني حجاج، عن ابن جريج، أخبرني داود بن أبي عاصم: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم: "أين أبواي؟ ". فنزلت:" ولا تسأل عن أصحاب الجحيم"

حكم الحديث:

الأثر ضعيف: وذلك لوجود علتان: الأولى: الإرسال،لأن داود بن أبي عاصم : تابعي. قال الحافظ ابن كثير:"هذا مرسل كالذي قبله"[148]. والثانية:قال الألباني: الحسين بن داود البلخي"ضعيف" ، قال الذهبي في "المغني":"ليس بثقة ولا مأمون، متهم".قال الخطيب: " لم يكن بثقة، فإنه روى نسخة عن يزيد عن حميد عن أنس أكثرها موضوع "[149].

حجة ابن جرير:

قال أبو جعفر:" والصواب عندي من القراءة في ذلك قراءة من قرأ بالرفع، على الخبر,,, فإن ظن ظان أن الخبر الذي روي عن محمد بن كعب صحيح، فإن في استحالة الشك من الرسول عليه السلام – في أن أهل الشرك من أهل الجحيم، وأن أبويه كانا منهم، ما يدفع صحة ما قاله محمد بن كعب، إن كان الخبر عنه صحيحا.،،، وقد كان بعض نحويي البصرة يوجه قوله:"ولا تسأل عن أصحاب الجحيم" إلى الحال، كأنه كان يرى أن معناه: إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا غير مسئول عن أصحاب الجحيم. وذلك إذا ضم"التاء"، وقرأه على معنى الخبر، وكان يجيز على ذلك قراءته:"ولا تسأل"، بفتح"التاء" وضم"اللام" على وجه الخبر بمعنى: إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا، غير سائل عن أصحاب الجحيم" [150].

حجة ابن كثير:

قال ابن كثير:" وقد رد ابن جرير هذا القول المروي عن محمد بن كعب القرظي وغيره في ذلك، لاستحالة الشك من الرسول صلى الله عليه وسلم في أمر أبويه. واختار القراءة الأولى. وهذا الذي

[148] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج1، ص280.
[149] مصدر سابق، السلسلة الضعيفة، ج3، ص439.
[150] مصدر سابق، تفسير الطبري، ج2، ص561.

سلكه هاهنا فيه نظر، لاحتمال أن هذا كان في حال استغفاره لأبويه قبل أن يعلم أمرهما، فلما علم ذلك تبرأ منهما، وأخبر عنهما أنهما من أهل النار"كما ثبت ذلك في الصحيح" ولهذا أشباه كثيرة ونظائر، ولا يلزم ما ذكر ابن جرير. والله أعلم"[151].

توجيه قول الإمامين:

الإمام ابن جرير يرد هذه القراءة معتمدا على أمور:

منها: استحالة الشك من الرسول عليه السلام – في أن أهل الشرك من أهل الجحيم، وأن أبويه كانا منهم، وهذا ليس بمقنع أن يرد به قراءة متواترة، بل يوجه ذلك كما وجهه الحافظ ابن كثيرحيث قال: لاحتمال أن هذا كان في حال استغفاره لأبويه قبل أن يعلم أمرهما، فلما علم ذلك تبرأ منهما، وأخبر عنهما أنهما من أهل النار"كما ثبت ذلك في الصحيح". وعلى كل فإذا كان هذا هو التوجيه أو غيره، فلايجوز له أن يصوب قراءة على آخرى بعد العلم على أنها متواترة.

ومنها: أنه حاول أن يؤيد مارجحه بكلام النحاة، ولكن كلام النحاة يستدل عليه لايستدل به على القراءات إذا كانت متوارة، فإن القرآن الكريم لايحاكم إلى العربية، بل العربية هي التى تتحاكم إلى القرآن الكريم. وعلى كل فإن رد الإمام ابن جرير لقراءة متواترة على أخرى مثلها أو تصويبها عليها أمر مرفوض شرعا وعقلا. **والقاعدة تقول:**" **إذا ثبتت القراءة فلا يجوز ردها أورد معناها وهي بمنزلة آية مستقلة**"[152].قال ابن تيمية:" قد بينا أن القراءتين كالآيتين فزيادة القراءات لزيادة الآيات، لكن إذا كان الخط واحدا واللفظ محتملا كان ذلك أخصر في الرسم"[153].قال الشنقيطي:" أن القراءتين إذا ظهر تعارضهما في آية واحدة لهما حكم الآيتين، كما هو معروف عند العلماء"[154]

الخلاصة:

[151] مصدر سابق،تفسير ابن كثير، ج1، ص401.
[152] مصدر سابق، قواعد الترجيح عن المفسرين، ج1، ص89.
[153] مصدر سابق، فتاوى اب تيمية، ج4، ص421.
[154] مصدر سابق، أضواء البيان، ج1، ص330.

1/ اختلفوا في قوله "ولا تسأل عن أصحاب الجحيم" في ضم التاء مع رفع اللام وفتحها مع جزم اللام، فقرأ نافع وحده"ولا تسأل" مفتوحة التاء مجزومة اللام، وقرأ الباقون"ولا تسأل" مضمومة التاء مرفوعة اللام"[155].

2/ في قوله تعالى:"ولا تسأل عن أصحاب الجحيم". قراءتان، الأولى بالرفع ، والثانية الفتح، والقراءتان متواترتان.ولايجوز لقراءتين مواترتين أن نفضل بينهما.

3/ ماذكره الإمام ابن جرير من تصويب قراءة الفتح على الرفع، أمر لامبرر له وهو مرفوض.

4/ في حالة وجود قراءتين متواترتين فأكثر لابد من توجيههما، ولايكن رد بعضهما لأنها كلها متواترة أي قرء بها النبي صلى الله عليه وسلم.

الشاهد الثاني: قوله تعالى: {فادخلي في عبادي}[156]

تحرير نقطة الخلاف:

ذكر ابن كثير أن ابن جرير رجح قراءة الإفراد .

حجة ابن جرير:

قال أبوجعفر: والصواب من القراءة في ذلك (فادخلي في عبادي) بمعنى: فادخلي في عبادي الصالحين. لإجماع الحجة من القراء عليه"[157].

حجة ابن كثير: قال ابن كثير:"فادخلي في عبدي وادخلي جنتي". وكذا قال عكرمة والكلبي، واختاره ابن جرير، وهو غريب، والظاهر الأول؛ لقوله: {ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق} [الأنعام:62] {وأن مردنا إلى الله} [غافر:43] أي: إلى حكمه والوقوف بين يديه"[158].

---

[155] مصدر سابق، السبعة في القرءات ، لابن مجاهد، ج1، ص169.
[156] سورة الفجر: الآية 29.
[157] مصدر سابق، تفسير الطبري، ج24، ص421.
[158] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج8، ص400.

توجيه قول الإمامين:

ولكن لاأدري ماذا يقصد الحافظ ابن كثر من هذه الإشارة حيث قال:(وروي عنه أنه كان يقرؤها: "فادخلي في عبدي وادخلي جنتي". وكذا قال عكرمة والكلبي، واختاره ابن جرير، وهو غريب، والظاهر الأول).فإن الإمام ابن جرير قد اختار القول الأول، وهو قول الجمع "عِبَادِي"، ولعل ابن كثير قد في هذه الذي نسبه إلى ابن جرير رحم الله الجميع.

الخلاصة:

1/ الآية قرءت قرائان أحدهما شاذة، وهي التي بالإفراد"فادخلي في عبدي" فإنها ترد.

2/ سقط سهوا من الحافظ ابن كثير نسبت إختيار لابن جرير، وهو غير ذلك.

3/ إذن يصبح الإمامان متفقان على رد القراءة الشاذة التى قرءت بالإفراد.

الشاهد الثالث:

وقوله: {وما هو على الغيب بضنين}[159]

تحرير نقطة الخلاف:

الإمام ابن جرير يرجح أحد القرائتين كما هي عادته، والحافظ ابن كثير يعقب على ذلك بقوله اللطيف:"وكلاهما متواتر، ومعناه صحيح كما تقدم".

حجة ابن جرير:

قال أبو جعفر:" وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب: ما عليه خطوط مصاحف المسلمين متفقة، وإن اختلفت قراءتهم به، وذلك"بضنين" بالضاد، لأن ذلك كله كذلك في خطوطها. فإذا

[159] سورة التكوير: الآية 24.

كان ذلك كذلك، فأولى التأويلين بالصواب في ذلك: تأويل من تأوله، وما محمد على ما علمه الله من وحيه وتنزيله ببخيل بتعليمكموه أيها الناس، بل هو حريص على أن تؤمنوا به وتتعلموه"[160].

حجة ابن كثير:

قال ابن كثير: وقوله:"وما هو على الغيب بضنين" أي: وما محمد على ما أنزله الله إليه بظنين، أي: بمتهم. ومنهم من قرأ ذلك بالضاد، أي: ببخيل، بل يبذله لكل أحد.

قال سفيان بن عيينة: ظنين وضنين سواء، أي: ما هو بكاذب، وما هو بفاجر. والظنين: المتهم، والضنين: البخيل. وقال قتادة: كان القرآن غيبا، فأنزله الله على محمد، فما ضن به على الناس، بل بلغه ونشره وبذله لكل من أراده. وكذا قال عكرمة، وابن زيد، وغير واحد. واختار ابن جرير قراءة الضاد . قلت: وكلاهما متواتر، ومعناه صحيح كما تقدم"[161].

توجيه قول الإمامين:

من الصواب أن يجمع بينهما: قد جمع بعض أهل العلم بين القولين فقالوا:" وما هو على الغيب بظنين" بالظاء و"ضنين" بالضاد. لأن المراد بهاتين القراءتين جميعا هو النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أنه كان غير ظنين على الغيب أي غير متهم فيما أخبر به عن الله تعالى وغير ضنين به أي غير بخيل بتعليم ما علمه الله وأنزله إليه فقد انتفى عنه الأمران جميعا فأخبر الله تعالى عنه بهما في القراءتين .

الخلاصة:

1/ قوله "وما هو على الغيب بضنين"، قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائى "بظنين " بالظاء ،وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة"بضنين" بالضاد[162].

---

[160] مصدر سابق، تفسير الطبري، ج24، ص258.
[161] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج8، ص339.
[162] مصدر سابق، السبعة في القراءات، لابن مجاهد، ج1، ص673.

2/إذا كان القراءتين متواترتان مختلفتان في اللفظ والمعنى مع اتفاق مرادهما فالجمع بينهما هو الصواب مثال ذلك قوله تعالى : " وما هو على الغيب بضنين"[163].بالظاء وبضنين وبالضاد؛ لأن المراد بهاتين القراءتين جميعا هو النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك أنه كان غير ظنين على الغيب، أي: غير متهم فيما أخبر به عن الله تعالى، وغير ضنين به، أي: غير بخيل بتعليم ما علمه الله وأنزله إليه، فقد انتفى عنه الأمران جميعا، فأخبر الله تعالى عنه بهما في القراءتين.

3/ العلة التى اعتل بها ابن جرير الطبري حيث قال" وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب: ما عليه خطوط مصاحف المسلمين متفقة، وإن اختلفت قراءتهم به"[164]. علة فيها نظر وذلك لأمور منها: أن القراءة إذا كانت متواترة فلا ترد وافقت المصحف أم لم توافقه، والأمر الآخر: أن علة ابن جرير"ما عليه خطوط مصاحف المسلمين متفقة" علة نسبية وحكم بالغالب وليس أمرا قطعيا، فإن ابن جرير كثيرا مايحكم هذا الحكم بحكم الغالب وهذا يتضح من خلال التتبع والإستقراء لإحتجاجه بهذ العلة مثال ذلك قول الله تعالى:"قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم *سيقولون لله قل أفلا تتقون"[165]. قال أبو جعفر:"وقد اختلفت القراء في قراءة قوله: (سيقولون لله) فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق والشام: (سيقولون لله) سوى أبي عمرو، فإنه خالفهم فقرأه: "سيقولون الله" في هذا الموضع، وفي الآخر الذي بعده إتباعا لخط المصحف، فإن ذلك كذلك في مصاحف الأمصار، إلا في مصحف أهل البصرة، فإنه في الموضعين بالألف، فقرءوا بالألف كلها اتباعا لخط مصحفهم، فأما الذين قرءوه بالألف فلا مؤنة في قراءتهم ذلك كذلك؛ لأنهم أجروا الجواب على الابتداء، وردوا مرفوعا على مرفوع ،،، والصواب من القراءة في ذلك أنهما قراءتان قد قرأ بهما علماء من القراء، متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، غير أني مع ذلك أختار قراءة جميع ذلك بغير ألف؛ لإجماع خطوط مصاحف الأمصار على ذلك، سوى خط مصحف أهل البصرة"[166].فبعد أن بين ابن جرير أن القراءتين صائبتين إختار

---

[163] سورة التكوير:الآية 24

[164] مصدر سابق، تفسير الطبري، ج24، ص258.

[165] سورة المؤمنون : الآية 87/86.

[166] مصدر سابق، تفسير الطبري، ج19، ص64.

أحدهما على الآخرى وبين العلة بقول:"لإجماع خطوط مصاحف الأمصار على ذلك" ثم بين أن هناك مصحف يخالف هذا الإجماع وهو مصحف أهل البصرة حيث قال:" سوى خط مصحف أهل البصرة" فكيف يقول أجمعت خطوط المسلمين على ذلك وعلى هذا يرجح ويختار إحدى القرائتين على الأخرى ثم يوضح أن هناك من يخالف هذا الإجماع وهومصحف أهل البصرة ، وهذا الأخذ يجرنا إلى مأخذ مهم على ابن جرير وهو" أن إجماع ابن جرير بالغالب " فلو قال في مسألة " أجمع أهل التأويل" فإن يأخذ بالغالب وليس قطعيا، لأنه يرى أن مخالفة الواحد والإثنيين لايخرقان الإجماع وهذا أمر مخالف للصواب من ابن جرير ينبغى مراعاته وأخذ العذر له لامجاراته على خطئه.

4/ الراجح من القول عندي في المسألة ماذهب إليه ابن كثير أن القراءتين متواترتين وكلاهما صحيحتان ولايجوز رد أحدهما بالآخرى لأنهما سبعيتان.

الفصل الثالث
الاستدراكات على ترجيحات علم التفسير
المبحث الأول: اللغة العربية
المبحث الثاني: دلالات الألفاظ
المبحث الثالث: دلالات المعاني

المبحث الأول
اللغة العربية

الشاهد الأول:

قوله تعالى:"فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم وإن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين"[167]

تحرير نقطة الخلاف:

يرجح الإمام ابن جرير أن المقصود بالذرية من بني إسرائيل لامن قوم فرعون، ويرى الحافظ ابن كثير أن الذرية من قوم فرعون.

المناقشة:

الآثار الواردة في ذلك والحكم عليها:

الأثر الأول: روى علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله:"فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه" يقول: بني إسرائيل. طلبا لمعرفة سند الحديث كما في الطبري: حدثني به المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله:"ذرية من قومه"، يقول: بني إسرائيل.[168]

حكم الحديث:

الحديث ضعيف، وذلك لضعف المثنى: هو الصباح. قال الألباني: قال صاحب " التقريب ": " ضعيف , اختلط بآخره , وكان عابدا ". وأورده الذهبى فى " الضعفاء " وقال: " ضعفه ابن معين. وقال النسائى: متروك ". واعتمد الحافظ فى " التلخيص " قول النسائى هذا , فقال (97/3) " وهو متروك[169] وكذلك أبو صالح: ضعيف وقد أشرنا إليه.

الأثر الثاني: قال مجاهد في قوله:"إلا ذرية من قومه"يقول: بني إسرائيل. قال: هم أولاد الذين أرسل إليهم موسى، من طول الزمان، ومات آباؤهم.والحديث كما في تفسير الطبري حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد في قوله تعالى:"فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه"، قال: أولاد الذين أرسل إليهم من طول الزمان، ومات آباؤهم[170].

---

[167] سورة يونس: الآية 83.

[168] مصدر سابق، تفسير ابن جرير،ج15، ص165.

[169] مصدر سابق،ارواء الغليل، ج، ص138.

[170] مصدر سابق، تفسير ابن جرير،ج15، ص164.

حكم الأثر:

الأثر ضعيف، لوجود "عنبسة بن عبد الرحمن" وهو ضعيف. قال الألباني: عنبسة بن عبد الرحمن: متهم[171]. وقال أيضا : قال البخاري: تركوه، وقال الذهبي في " الضعفاء ": متروك متهم أي بالوضع ". كذا في " فيض القدير ".

قلت: وعنبسة هذا هو الذي قال فيه أبو حاتم: " كان يضع الحديث " كما في " الميزان " للذهبي[172].

حجة ابن جرير:

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال عندي بتأويل الآية، القول الذي ذكرته عن مجاهد، وهو أن "الذرية"، في هذا الموضع أريد بها ذرية من أرسل إليه موسى من بني إسرائيل، فهلكوا قبل أن يقروا بنبوته لطول الزمان، فأدركت ذريتهم، فآمن منهم من ذكر الله، بموسى. وإنما قلت: "هذا القول أولى بالصواب في ذلك"، لأنه لم يجر في هذه الآية ذكر لغير موسى، فلأن تكون "الهاء"، في قوله: "من قومه"، من ذكر موسى لقربها من ذكره، أولى من أن تكون من ذكر فرعون، لبعد ذكره منها، إذ لم يكن بخلاف ذلك دليل، من خبر ولا نظر. وبعد، فإن في قوله:"على خوف من فرعون وملئهم"، الدليل الواضح على أن الهاء في قوله:"إلا ذرية من قومه"، من ذكر موسى، لا من ذكر فرعون، لأنها لو كانت من ذكر فرعون لكان الكلام، "على خوف منه"، ولم يكن"على خوف من فرعون"[173].

حجة ابن كثير:

لأنه أراد بالذرية الأحداث والشباب وأنهم من بني إسرائيل، فالمعروف أن بني إسرائيل كلهم آمنوا بموسى، عليه السلام، واستبشروا به، وقد كانوا يعرفون نعته وصفته والبشارة به من كتبهم المتقدمة، وأن الله تعالى سينقذهم به من أسر فرعون ويظهرهم عليه؛ ولهذا لما بلغ هذا فرعون حذر كل الحذر فلم يجد عنه شيئا. ولما جاء موسى آذاهم فرعون أشد الأذى، و"قالوا أوذينا من قبل أن

---

[171] مصدر سابق، إرواء الغليل،ج3، ص257.

[172] مصدر سابق، السلسلة الضعيفة،ج2، ص10.

[173] مصدر سابق، ج15، ص164.

تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون"[174].

توجيه قول الإمامين:

يرجح ابن جرير أن "الذرية"، في هذا الموضع أريد بها ذرية من أرسل إليه موسى من بني إسرائيل، ونصر كلامه بأن الضمير عائد إلى موسى، إذ يعود الضمير إلى أقرب مذكور، وهذا الذي ذهب إليه ليس ببعيد فإن موسى أرسله الله إلى بنى إسرائيل، كما قال تعالى:" قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل"[175]، وفرعون وملأه ممن أرسل إليهم موسى عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى:" ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين * إلى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد"[176]

فهولاء كلهم يعتبرون بني إسرائيل الذي أرسل إليهم موسى عليه الصلاة والسلام، ثم انقسموا إلى قسمين كافر ومؤمن، فمن كفر بموسى فهولاء من ملئ فرعون، فينسبون إليه إحتقارا لشأنهما عند الله تعالى، ولذا تجد من آمن بموسي من بني إسرائيل قليل، وهي سنة الله في خلقه، كما قال الله تعالى:" وقليل من عبادي الشكور"[177]،وكقوله تعالى عن نوح عليه الصلاة والسلام:"ومن آمن وما آمن معه إلا قليل"[178] وهكذا جميع الأنبياء كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم: من حديث ابن عباس قال: " عرضت علي الأمم، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى صلى الله عليه وسلم وقومه، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر، فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك"[179]، وهذا سنة الله في خلقه أن المؤمنين قليلون. وعلى هذا فقوله تعالى:" فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه"، الضمير يعود لموسى عليه الصلاة والسلام، والمقصود جميع بني إسرائيل الذين أرسل إليهم موسى عليه الصلاة

---

[174] سور يونس: الآية 129.

[175] سورة الأعراف: الآية 105.

[176] سورة هود: الآية 97/96.

[177] سورة سبأ:الآية 13.

[178] سورة هود:الآية40.

[179] مصدر سابق، صحيح مسلم، برقم 220،ج1، ص199.

والسلام بما فيهم فرعون وملئه، والضمير عائد إلي" أمة الدعوة" وهي التي أرسل إليهم،"لاأمة الإجابة" الذين آمنوا عليه الصلاة والسلام.

الخلاصة:

1/إختلاف الإمامين في "الضمير" إلى من يعود لموسى عليه الصلاة والسلام أم لفرعون.

2/ الآثار التى ذكرها الحافظ ابن كثير في "معنى الذرية" الذي صح منها قول ابن عباس "الذرية": القليل، والأقوال الباقية لاتصح كما أشرنا إليها في المناقشة.

3/ يصبح معنى الآية ماآمن مع موسى عليه الصلاة والسلام من أمته إلا القليل.

4/ لفظة " قومه" في قوله تعالى" إلا ذرية من قومه" لفظة شاملة لجميع ماأرسل إليهم موسى عيه الصلاة والسلام.

5/ أرسل موسى عليه الصلاة والسلام لبني إسرائيل كافة بما فيهم فرعون وملئه.

6/ عودالضمير ل " قوم موسى" ليست لأمة الإجابة فقط" وهم الذين آمنوا معه ونصروه واتبعوه النور الذي أنزل معه، ولكنه أعم وأشمل من ذلك فيشمل حتى" أمة الدعوة" وهم الذين أرسل فيهم موسى عليه الصلاة والسلام ممن لم يؤمنوا به.

7/ الذي أنكره الحافظ ابن كثير أن الضمير في قوله تعالى" إلا ذرية من قومه" عائد إلا أمة الإجابة فقط ـ والله أعلم ـ، وليس هذا هو المقصود كما وضحنا آنفا ،والذي قصده ابن جرير أن الضمير عائد إلى " أمة الدعاء" ـ والله أعلم ـ.

8/ القول الراجح عندي أن الضمير في قوله تعالى" إلا ذرية من قومه" عائد لموسى عليه الصلاة والسلام، مع توضيح للمقصود بالقوم وأنها أمة دعاء لا أمة إجابة.

الشاهد الثاني:

قوله تعالى:"وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون"[180].

تحرير نقطة الخلاف:

[180]سورة القصص: الآية 68.

يرجح الإمام ابن جرير أن "ما" في قوله تعالى:" ما كان لهم الخيرة" زائدة بمعنى الذي، "، تقديره: "ويختار الذي لهم فيه خيرة". ويرى الحافظ ابن كثير أنها بمعنى النفي.

حجة ابن جرير:

قال أبو جعفر: قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وربك يا محمد يخلق ما يشاء أن يخلقه، ويختار للهداية والإيمان والعمل الصالح من خلقه، ما هو في سابق علمه أنه خيرتهم، نظير ما كان من هؤلاء المشركين لآلهتهم خيار أموالهم، فكذلك اختياري لنفسي. واجتبائي لولايتي، واصطفائي لخدمتي وطاعتي، خيار مملكتي وخلقي. فإذا كان معنى ذلك كذلك، فلا شك أن "ما" من قوله:"ويختار ما كان لهم الخيرة" في موضع نصب، بوقوع يختار عليها، وأنها بمعنى الذي. فإن قال قائل: فهل يجوز أن تكون "ما" في هذا الموضع جحدا، ويكون معنى الكلام: وربك يخلق ما يشاء أن يخلقه، ويختار ما يشاء أن يختاره، فيكون قوله:"ويختار" نهاية الخبر عن الخلق والاختيار، ثم يكون الكلام بعد ذلك مبتدأ بمعنى: لم تكن لهم الخيرة: أي لم يكن للخلق الخيرة، وإنما الخيرة لله وحده؟

قيل: هذا قول لا يخفي فساده على ذي حجا، من وجوه، لو لم يكن بخلافه لأهل التأويل قول، فكيف والتأويل عمن ذكرنا بخلافه; فأما أحد وجوه فساده، فهو أن قوله: "ما كان لهم الخيرة" لو كان كما ظنه من ظنه، من أن "ما" بمعنى الجحد، على نحو التأويل الذي ذكرت، كان إنما جحد تعالى ذكره، أن تكون لهم الخيرة فيما مضى قبل نزول هذه الآية، فأما فيما يستقبلونه فلهم الخيرة، لأن قول القائل: ما كان لك هذا، لا شك إنما هو خبر عن أنه لم يكن له ذلك فيما مضى. وقد يحوز أن يكون له فيما يستقبل، وذلك من الكلام لا شك خلف. لأن ما لم يكن للخلق من ذلك قديما، فليس ذلك لهم أبدا. وبعد، لو أريد ذلك المعنى، لكان الكلام: فليس. وقيل: وربك يخلق ما يشاء ويختار، ليس لهم الخيرة، ليكون نفيا عن أن يكون ذلك لهم فيما قبل وفيما بعد.

والثاني: أن كتاب الله أبين البيان، وأوضح الكلام، ومحال أن يوجد فيه شيء غير مفهوم المعنى، وغير جائز في الكلام أن يقال ابتداء: ما كان لفلان الخيرة، ولما يتقدم قبل ذلك كلام يقتضي ذلك; فكذلك قوله:"ويختار ما كان لهم الخيرة" ولم يتقدم قبله من الله تعالى ذكره خبر عن أحد، أنه ادعى أنه كان له الخيرة، فيقال له: ما كان لك الخيرة، آمن وعمل صالحا منهم، وأن ذلك إنما

هو لاختياره إياه للإيمان، وللسابق من علمه فيه اهتدى. ويزيد ما قلنا من ذلك إبانة قوله:"وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون" فأخبر أنه يعلم من عباده السرائر والظواهر، ويصطفى لنفسه ويختار لطاعته من قد علم منه السريرة الصالحة، والعلانية الرضية.

والثالث: أن معنى الخيرة في هذا الموضع: إنما هو الخيرة، وهو الشيء الذي يختار من البهائم والأنعام والرجال والنساء، يقال منه: أعطي الخيرة والخيرة، مثل الطيرة والطيرة، وليس بالاختيار، وإذا كانت الخيرة ما وصفنا، فمعلوم أن من أجود الكلام أن يقال: وربك يخلق ما يشاء، ويختار ما يشاء، لم يكن لهم خير بهيمة أو خير طعام، أو خير رجل أو امرأة [181]".

حجة ابن كثير:

قال ابن كثير: قوله تعالى:"ما كان لهم الخيرة" نفي على أصح القولين، كقوله تعالى:"وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم"[182].

وقد اختار ابن جرير أن "ما" هاهنا بمعنى "الذي"، تقديره: ويختار الذي لهم فيه خيرة. وقد احتج بهذا المسلك طائفة المعتزلة على وجوب مراعاة الأصلح. والصحيح أنها نافية، كما نقله ابن أبي حاتم، عن ابن عباس وغيره أيضا، فإن المقام في بيان انفراده تعالى بالخلق والتقدير والاختيار، وأنه لا نظير له في ذلك؛ ولهذا قال: "سبحان الله وتعالى عما يشركون" أي: من الأصنام والأنداد، التي لا تخلق ولا تختار شيئا[183].

توجيه قول الإمامين:

سياق الآيات يوضح أن" ما" في قوله تعالى:" ما كان لهم الخيرة" نافية،

وذلك لقوله تعالى:"وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون *وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون"[184] ففي الآيتين بيان أن الله على كل شيئ قدير وأن العبد لاحول له ولاقوة إلا بالله وأن الله يصطفي من يشاء من عباده، ختام الآية بقوله" سبحان الله وتعالى عما يشركون" مخبرا بعظمته جل في علاه ثم قال بعدها:" وربك يعلم ما تكن

[181] مصدر سابق، تفسير الطبري، ج19، ص608.
[182] سورة الأحزب: الآية 36.
[183] مصدر سابق، تفسير بن كثير، ج 6، ص226.
[184] سورة القصص: الآية 69/68.

صدورهم وما يعلنون" أي أنه سبحانه عالما بالسرائر والخفايا فهو الذي يدبر الأمر ويختار من يشاء لمن يشاء. كما قال تعالى" الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وإلى الله ترجع الأمور"[185] ثم ذكر بعد إخباره جل وعلا على أن له الخيرة والإصطفاء وأنه وسع كل شيئ علما، إخبارا عن عظمته لأن المقام يناسب ذلك. كالآية التى قبلها تماما بعد ذكر الإختيار ذكرمايدل على عظمته وقدرته وأنه بكل شيئ عليم. إذن فالأسلوب والسياق يدل على قدرة الله وأنه يختار من يشاء من النبيين والصدقين والشهداء والصالحين، لأن المقام مقام امتنان، أي ماناله الأخيارمن خلقه ليس بحولهم ولاقوتهم إنما هو إختار الله لهم، فنفى عنهم القدرة وأثبتها لذاته سبحانه وتعالى. ومن معاني الآية: أن الله لايلزمه قول أحد كما قال تعالى:" لا يسأل عما يفعل وهم يسألون"[186]. بل إذ قضى فلا معقب لحكمه ولا راد لقضائه كما قال تعالى:"وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم"[187] فلو ذهبنا إلى أن" ما" زائدة وافقنا المعتزلة كما قال ابن كثير:" وقد احتج بهذا المسلك طائفة المعتزلة على وجوب مراعاة الأصلح". وهذا الذي ذهبوا إليه تحريف للكلم عن مواضعه، فيجب صيانة كلام الله تعالى من ذلك.علما أن " ما" في الآية تصلح للأمرين من حيث العربية ، أما من حيث سياق الآي فإن الأقرب والأليق والأصوب " النفي" **كما قال الزجاج في الآية:** أجود الوقوف على ويختار"؛ وتكون " ما " نفيا. المعنى ربك يخلق ما يشاء، وربك يختار ليس لهم الخيرة. وما كانت لهم الخيرة، أي ليس لهم أن يختاروا على الله، هذا وجه. ويجوز أن يكون "ما" في معنى الذي فيكون المعنى ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة. ويكون معنى الاختيار ههنا ما يتعبدهم به، أي ويختار لهم فيما يدعوهم إليه من عبادته ما لهم فيه الخيرة، والقول الأول أجود – أي أن تكون "ما" نفيا[188].

الخلاصة:

1/ الإختلاف بين الإمامين في " ما" التى في قوله تعالى" ما كان لهم الخيرة" أزائدة أم نافية.

---

[185] سورة الحج: الآية76.

[186] سورة الأنبياء:الآية 23.

[187] سورة الأحزاب:الآية 36.

[188] معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج،المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، ط: الأولى 1408 هـ - 1988م،ج4، ص152.

2/ سياق الآيات وأسلوبها يقوى أنها نافية .

3/ القولين من حيث العربية صحيحين فكلاهما وردا في كلام العرب.

4/ من الفوائد إذا ورد قولين فأكثرفي مسألة لغوية، نحمل على التى تصين النص القرآني عن التحريف والتأويل الذي لايليق به.

5/ القول الراجح عندي أن" ما" نافية، وذلك لمناسبة سياق الآية في ذلك .

الشاهد الثالث:

قال تعالى:" وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت..."[189]

تحرير نقطة الخلاف:

يرجح الإمام ابن جرير أن " ما" في قوله تعالى:" وما أنزل على الملكين" زائدة بمعنى الذي، ويرى الحافظ ابن كثير أنها جازمة، ووصف قول ابن جرير بأنه غريب جدا!

حجة ابن جرير:

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي، قول من وجه"ما" التي في قوله: "وما أنزل على الملكين" إلى معنى"الذي"، دون معنى"ما" التي هي بمعنى الجحد. وإنما اخترت ذلك، من أجل أن"ما" إن وجهت إلى معنى الجحد، تنفي عن"الملكين" أن يكونا منزلا إليهما، ولم يخل الاسمان اللذان بعدهما – أعني"هاروت وماروت" – من أن يكونا بدلا منهما وترجمة عنهما أو بدلا من"الناس" في قوله:"يعلمون الناس السحر"، وترجمة عنهما. فإن جعلا بدلا من"الملكين" وترجمة عنهما، بطل معنى قوله:"وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنه فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به من بين المرء وزوجه". لأنهما إذا لم يكونا عالمين بما يفرق به بين المرء وزوجه، فما الذي يتعلم منهما من يفرق بين المرء وزوجه؟

وبعد، فإن"ما" التي في قوله: (وما أنزل على الملكين) ، إن كانت في معنى الجحد عطفا على قوله:"وما كفر سليمان"، فإن الله جل ثناؤه نفى بقوله:"وما كفر سليمان"، عن سليمان أن يكون

---

[189] سورة البقرة: الآية 102.

السحر من عمله أو من علمه أو تعليمه. فإن كان الذي نفى عن الملكين من ذلك نظير الذي نفى عن سليمان منه – وهاروت وماروت هما الملكان – فمن المتعلم منه إذا ما يفرق به بين المرء وزوجه؟ وعمن الخبر الذي أخبر عنه بقوله:"وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر"؟ إن خطأ هذا القول لواضح بين.[190]

حجة ابن كثير:

قال ابن كثير: "ثم شرع ابن جرير في رد هذا القول، وأن "ما" بمعنى الذي، وأطال القول في ذلك، وادعى أن هاروت وماروت ملكان أنزلهما الله إلى الأرض، وأذن لهما في تعليم السحر اختبارا لعباده وامتحانا، بعد أن بين لعباده أن ذلك مما ينهى عنه على ألسنة الرسل، وادعى أن هاروت وماروت مطيعان في تعليم ذلك؛ لأنهما امتثلا ما أمرا به، وهذا الذي سلكه غريب جدا!"[191]

توجيه قول الإمامين:

فعلى ترجيح ابن جرير أن الملكين أنزلهما الله إبتلاءا واختبارا، كما ابتلى قوم طالوت بالنهر،"فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني"[192] وكذلك فتنة المسيح الدجال التى حذر منها النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث أسماء بنت يزيد، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يحذر أصحابه الدجال، فقال: " أحذركم المسيح الدجال، وأنه كل نبي قد أنذر قومه"[193]

فهذه فتنتة من الله لعباده يميز بها بين الخبيث والطيب. وبهذا فأرى مارآه الإمام ابن جرير من أن " ما" زائدة وليست بنافية. وكلام ابن كثير مع وجاهته ليس كافيا لرد هذا القول.

الخلاصة:

1/ الإختلاف بين الإمامين في " ما" التى في قوله تعالى" "وما أنزل على الملكين " أزائدة أم نافية.

2/ الآثار التى أوردها ابن كثير في القوليين كلها لاتصح كما بينا سابقا.

---

[190] مصدر سابق، تفسير الطبري، ج2، ص425.

[191] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج1، 352.

[192] سورة البقرة:الآية 249.

[193] السنة، أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل، المحقق: د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، الناشر: دار ابن القيم – الدمام، ط: الأولى، 1406 هـ - 1986م، ج2، ص453.

3/ إنزال الملكين من السماء وتعليمهم السحر فتة واختبارا ليس أمرا منكرا.

4/ الأحاديث التى أطال ابن كثير في ذكرها في تفصيل أمر الملكين سب نزولها كلها لاتصح كما علق في ذلك الحافظ ابن كثير وقد تركت ذكرها إختصارا.

الشاهد الرابع :

قوله تعالى:"والليل إذا عسعس"[194]

تحرير نقطة الخلاف:

يرجح الإمام ابن جرير في لفظة "عسعس" أنها تعنى الإدبار، ويرى الحافظ ابن كثير أنها تعنى الإقبال.

حجة ابن جرير:

قال أبو جعفر: "وأولى التأويلين في ذلك بالصواب عندي قول من قال: معنى ذلك: إذا أدبر، وذلك لقوله: (والصبح إذا تنفس) فدل بذلك على أن القسم بالليل مدبرا، وبالنهار مقبلا والعرب تقول: عسعس الليل، إذا أدبر، ولم يبق منه إلا اليسير.

حجة ابن كثير:

قال ابن كثير:" وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله:"إذا عسعس"إذا أدبر. قال لقوله:"والصبح إذا تنفس"أي: أضاء. أي: أدبر. وعندي أن المراد بقوله:"عسعس" إذا أقبل، وإن كان يصح استعماله في الإدبار، لكن الإقبال هاهنا أنسب؛ كأنه أقسم تعالى بالليل وظلامه إذا أقبل، وبالفجر وضيائه إذا أشرق، كما قال:"والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى"، وقال:"والضحى والليل إذا سجى"، وقال"فالق الإصباح وجعل الليل سكنا". ، وغير ذلك من الآيات[195]"

توجيه قول الإمامين:

هذا القول عندي أصوب من الأول و أقرب دلالة من الذي قبله، حيث فيه الإقسام بالليل وظلامه إذا أقبل، وبالفجر وضيائه إذا أشرق، علما أن القولان صائبان ويدلان على نفس المعنى لأن كلمة "عسعس" من كلمات التضاد التى تدل على معنيين متضادين. قال الزجاج: يقال عسعس

---

[194] سورة التكوير: الآية 17.

[195] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج8، ص336.

الليل إذا أقبل، وعسعس إذا أدبر، والمعنيان يرجعان إلى شيء واحد، وهو ابتداء الظلام في أوله، وإدباره في آخره. "

الخلاصة:

1/ إختلاف الإمامين في لفظة "عسعس" عنى الإقبال أم الإدبار؟

2/ اللفظة تحتمل المعنيين لأنها من كلمات التضاد.

3/ يقدم المعنى الأنسب للسياق الأجزل في المعنى.

4/ سياق الآية أتى على أسلوب القسم مما يحتاج إلى الأكثر توكيدا وأعظ قسما من القولين.

5/ ترجح عندي قول الحافظ ابن كثير في معنى الآية .

الشاهد الخامس :

قوله تعالى:"والنجم والشجر يسجدان"[196]

تحرير نقطة الخلاف:

المقصود " بالنجم " في هذه الآية يرجح الإمام ابن جرير أن " النجم" ما انبسط على وجه الأرض –يعني من النبات، ويرجح الحافظ ابن كثير أن النجم النجم الذي في السماء.

الآثار الواردة في الآية :

الأثر الأول: روى علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: النجم ما انبسط على وجه الأرض –يعني من النبات ولمعرفة سند الحديث فالحديث من تفسير الطبري:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في قوله:"والنجم" قال: ما يبسط على الأرض.

حكم الحديث: الحديث ضعيف، لوجود أبوصالح وهو ضعيف، كما سبق ذكره.

حجة ابن جرير:

قال أبو جعفر: "وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عني بالنجم: ما نجم من الأرض من نبت لعطف الشجر عليه، فكان بأن يكون معناه لذلك: ما قام على ساق وما لا يقوم على

[196] سورة الرحمن : الآية 6.

ساق يسجدان لله، بمعنى: أنه تسجد له الأشياء كلها المختلفة الهيئات من خلقه، أشبه وأولى بمعنى الكلام من غيره.[197]"

حجة ابن كثير:

عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: النجم ما انبسط على وجه الأرض –يعني من النبات. وكذا قال سعيد بن جبير، والسدي، وسفيان الثوري. وقد اختاره ابن جرير رحمه الله.

وقال مجاهد: النجم الذي في السماء. وكذا قال الحسن وقتادة. وهذا القول هو الأظهر والله أعلم؛ لقوله تعالى: "ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس"[198])[199]

توجيه قول الإمامين:

وهذا التوجيه من الإمام ابن جرير له وجه ولكنه ليس هو أولى بالصواب من القول الآخر. أما توجيه ابن كثير أقرب عندي للصواب ممن قبله، لأننا لو قلنا "والنجم والشجر يسجدان" إذن تسجد له المخلوقات التى في السموات من النجوم والتى في الأرض من الشجر، وأمر آخر وهو أن النجم المتبارد في أذهان المخاطبين من أول وهلة هو الذي "في السماء" وهو الأشهر في لغة العرب إستخداما وماكان كذلك فهو الذي يقدم مالم يأتي نص يخصصه، والحافظ ابن كثير وفق في إستدلاله بهذه الآية الكريمة"ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس" فبدلا من أن يكون المعنى " ما قام على ساق وما لا يقوم على ساق يسجدان لله" من النبات، يكن المعنى: يسجد لله من في الأرض من الأشجار ويدخل في هذا: ما قام على ساق وما لا يقوم على ساق، ومن في السموات من النجوم، وبهذا يكن إحداث لمعنى أشمل وهو النجم في السماء بعد أن أدخلنا الشجر كله في المعنى الثاني، فلو لحظنا الآية نجد أن السماء مقدم على الأرض، وأن النجم مقدم على الشجر وبالله التوفيق.

الخلاصة:

---

[197] مصدر سابق، تفسير الطبري، ج22، ص12.

[198] سور الحج:الآية 18

[199] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج7، ص489.

1/ اختلاف الإمامين في لفظة "النجم" في قوله تعالى:"والنجم والشجر يسجدان" فرجح ابن جرير لمعنى النجم "ما انبسط على وجه الأرض" ويرى ابن كثير" النجم الذي في السماء".

2/ الآثار المذكور في الآية لاتصح كما بينا سابقا.

3/ القولان معتبران من حيث العربية.

4/ القول الأشهر عند إطلاق العرب هو الذي يقدم في معنى الآية.

5/ معنى "النجم الذي في السماء" هو الأشهر عند العرب في إطلاقها.

6/ المعنى الأشمل للآية أن يكون النجم "النجم الذي في السماء" لأنها أدخلت جنسا آخر غير المذكور أولا.

7/ يترجح عندي ماذهب إليه ابن كثير أن النجم" الذي في السماء".

الشاهد السادس :

قال تعالى:"ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون"[200]

تحرير نقطة الخلاف:

يرجح الإمام ابن جرير أن"ما" في قوله تعالى:" وما عملته أيديهم" زائدة " ويرى الحافظ ابن كثير أنها " نافية " .

حجة ابن جرير:

يقول أبو جعفر:"يقول تعالى ذكره: أنشأنا هذه الجنات في هذه الأرض ليأكل عبادي من ثمره، وما عملت أيديهم يقول: ليأكلوا من ثمر الجنات التي أنشأنا لهم، وما عملت أيديهم مما غرسوا هم وزرعوا. و"ما" التي في قوله (وما عملته أيديهم) في موضع خفض عطفا على الثمر، بمعنى: ومن الذي عملت؛ وهي في قراءة عبد الله فيما ذكر:"ومما عملته" بالهاء على هذا المعنى، فالهاء في قراءتنا مضمرة، لأن العرب تضمرها أحيانا"[201].

حجة ابن كثير:

---

[200] سورة يس:الآية 35.

[201] مصدر سابق، تفسير الطبري، ج20، ص515.

قال ابن كثير: "قوله:"وما عملته أيديهم"أي: وما ذاك كله إلا من رحمة الله بهم، لا بسعيهم ولا كدهم، ولا بحولهم وقوتهم. قاله ابن عباس وقتادة؛ ولهذا قال:"أفلا يشكرون"؟ أي: فهلا يشكرونه على ما أنعم به عليهم من هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى؟ واختار ابن جرير – بل جزم به، ولم يحك غيره إلا احتمالا – أن "ما" في قوله:"وما عملته أيديهم"بمعنى: "الذي"، تقديره: ليأكلوا من ثمره ومما عملته أيديهم، أي: غرسوه ونصبوه"[202].

توجيه قول الإمامين:

ماذهب إليه ابن جرير من "ما" زائدة ، فالمقصود أن الذي عملت أيديه هو من فضل الله عليهم فعليهم أن يشكروها، وماذهب إليه ابن كثيرة من أن "ما" للجحد، فالمقصود أنهم لم يعملوا حقيقة وإنما باشروها فقط على معنى قوله تعالى" وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى"[203] فيسند الأمر إلى الله تعالى على الوجهين المذكورين ويقابل بالشكر.

قال القصاب: قوله تعالى:"وما عملته أيديهم" أي ما غرسوا وزرعوا – والله أعلم – ومنهم من يجعل"ما" فيما عملته أيديهم جحدا، بمعنى أنهم لم يعملوه في الحقيقة هم. وإن باشروه بأيديهم، بل الله عامله إذ هو مخرجه من العدم إلى الوجود ويحتجون بالآية التي بعدها:"أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا"[204] ويؤيد الجمع للقولين وجود قراءتين متواترتين في الآية. واختلفوا فى إثبات الهاء وإسقاطها من قوله تعالى:"وما عملته أيديهم". فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمروابن عامر وحفص عن عاصم {وما عملته} بالهاءوقرأ عاصم فى رواية أبى بكر وحمزة والكسائى " وما عملت أيديهم بغير هاء"[205]

الخلاصة:

---

[202] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج6، ص575.

[203] سورة الأنفال: الآية 17.

[204] النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، أحمد محمد بن علي بن محمد الكَرَجي القصَّاب، تحقيق: إبراهيم بن منصور الجنيدل، دار النشر: دار القيم - دار ابن عفان، ط: الأولى 1424 هـ - 2003م،ج3، ص723.

[205] السبعة في القراءات، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي، المحقق: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف – مصر، ط: الثانية، 1400هـ،ج1، ص540.

1/ اختلاف الإمامين في لفظة "{وما عملته} من قوله تعالى":" وما عملته أيديهم" فيرجح ابن جرير أن " ما" بمعنى: "الذي"، تقديره: ليأكلوا من ثمره ومما عملته أيديهم، أي: غرسوه ونصبوه. ويرى ابن كثير أن " ما" نافية .

2/ معنى القولين يتفقان على المعنى وأنه أهل للشكر.

3/ هناك قراءتان متواترتان في الآية فى إثبات الهاء وإسقاطها.

4/ الذي أرجحه الجمع بين القولين وأن معناها واحد وهو أنه سبحانه تعالى هو الممتن بالنعم ظاهرا وباطنا وهو أهل الشكرة والفضل.

الشاهد السابع :

قال تعالى:"وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون"[206]

تحرير نقطة الخلاف:

يرجح الإمام ابن جرير في لفظة "ويكأن" بمعنى: " ألم تر أن"، ويرجح الحافظ ابن كثير أن معناها: "ويلك اعلم أن"

حجة ابن جرير:

قال أبو جعفر:" وأولى الأقوال في ذلك بالصحة: القول الذي ذكرنا عن قتادة، من أن معناه: ألم تر، ألم تعلم، للشاهد الذي ذكرنا فيه من قول الشاعر، والرواية عن العرب; وأن "ويكأن" في خط المصحف حرف واحد. ومتى وجه ذلك إلى غير التأويل الذي ذكرنا عن قتادة، فإنه يصير حرفين، وذلك أنه إن وجه إلى قول من تأوله بمعنى: ويلك اعلم أن الله؛ وجب أن يفصل "ويك" من "أن"، وذلك خلاف خط جميع المصاحف، مع فساده في العربية، لما ذكرنا. وإن وجه إلى قول من يقول: "وي" بمعنى التنبيه، ثم استأنف الكلام بكأن، وجب أن يفصل "وي" من "كأن"، وذلك أيضا خلاف خطوط المصاحف كلها. فإذا كان ذلك حرفا واحدا، فالصواب من التأويل: ما قاله قتادة،

[206] سورة القصص:الآية 83.

وإذ كان ذلك هو الصواب، فتأويل الكلام: وأصبح الذين تمنوا مكان قارون وموضعه من الدنيا بالأمس، يقولون لما عاينوا ما أحل الله به من نقمته: ألم تريا هذا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده، فيوسع عليه، لا لفضل منزلته عنده، ولا لكرامته عليه، كما كان بسط من ذلك لقارون، لا لفضله ولا لكرامته عليه"ويقدر" يقول: ويضيق على من يشاء من خلقه ذلك، ويقتر عليه، لا لهوانه، ولا لسخطه عمله"[207].

حجة ابن كثير:

وقد اختلف النحاة في معنى قوله تعالى"ها هنا": "ويكأن" ، فقال بعضهم: معناها: "ويلك اعلم أن"، ولكن خففت فقيل: "ويك"، ودل فتح "أن" على حذف "اعلم". وهذا القول ضعفه ابن جرير، والظاهر أنه قوي، ولا يشكل على ذلك إلا كتابتها في المصاحف متصلة "ويكأن". والكتابة أمر وضعي اصطلاحي، والمرجع إلى اللفظ العربي، والله أعلم. قال ابن جرير: وأقوى الأقوال في هذا قول قتادة: إنها بمعنى: ألم تر أن، واستشهد بقول الشاعر:

سألتاني الطلاق أن رأتاني ... قل مالي، وقد جئتماني بنكر ...

ويكأن من يكن له نشب يح ... بب ومن يفتقر يعش عيش ضر ..."[208]

للقولين وجه من حيث العربية، لكن هل يوافقان سياق الآية وأسلوبها أم لا؟ وهل هناك قول ثالث غير هاذين القولين من حيث العربية فيحمل عليه المعنى القرآني أم لا؟ فنجد الإجابة أن هناك قول ثالث في معنى الآية يذكره أهل اللغة في طيت كلامهم عن هذه اللفظة. **قال أحمد بن فارس:** ويكأن: اختلف أهل العلم فيها. قال أبو زيد: معنى و"يكأنه" ألم تر. وأنشد:

ألا ويك المسرة لا تدوم ... ولا يبقى على الدهر النعيم

وأنشد أبو عبيدة: ذلك لكثرتها في الكلام واستعمال العرب إياها.

قال عنترة: ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها ... قيل الفوارس ويك عنتر أقدم

وقال آخرون: ويك "وي" منفصلة من كأن كقولك للرجل: أما ترى بين يديك.

---

[207] مصدر سابق، تفسير الطبري، ج19، ص636.

[208] مصدرسابق، تفسير ابن كثير،ج6، ص256.

فقال: "وي" ثم استأنف كأن الله و"كأن" في معنى الظن والعلم. وفيها معنى تعجب. قال: وهذا وجه مستقيم، ولم تكتبها العرب منفصلة. ويجوز أن يكون كثر بها الكلام فوصلت بما ليس منه، كما اجتمعت العرب على كتاب "يا بنؤم" فوصلوها لكثرتها[209].

توجيه قول الإمامين:

قال الزجاج: هذه اللفظة لفظة " ويك " قد أشكلت على جماعة من أهل اللغة

وجاء في التفسير أن معناها ألم تر أنه لا يفلح الكافرون. وقال بعضهم معناها أما ترى أنه لا يفلح الكافرون. وقال بعض النحويين – وهذا غلط عظيم – إن معناها ويلك اعلم أنه لا يفلح الكافرون فحذف اللام فبقيت ويك وحذف أعلم أنه لا يفلح الكافرون، وهذا خطأ من غير جهة، لو كان كما قال لكانت أن مكسورة كما تقول: ويلك إنه قد كان كذا وكذا، ومن جهة أخرى أن يقال لمن خاطب القوم بهذا فقالوا: ويلك " إنه لا يفلح الكافرون "، ومن جهة أخرى أنه حذف اللام من ويل. والقول الصحيح في هذا ما ذكره سيبويه عن الخليل ويونس.

قال سألت عنها الخليل فزعم أنها " وي " مفصولة من كأن.

وأن القوم تنبهوا فقالوا: وي، متندمين على ما سلف منهم، وكل من تندم أو ندم فإظهار تندمه وندامته أن يقول " وي " كما تعاتب الرجل على ما سلف منه فقول: وي، كأنك قصدت مكروهي، فحقيقة الوقف عليها وي، وهو أجود في الكلام، ومعناه التنبيه والتندم.

قال الشاعر: سألتاني إلى طلاق إذ رأتاني. . . قل مالي قد جئتما في بنكر

وي كأن من يكن له نشب يح. . . بب ومن يفتقر يعش عيش ضر

فهذا تفسير الخليل، وهو مشاكل لما جاء في التفسير[210].

ونفسي إلى هذا الأقول أميل، وذلك لأمرين أولا: لأنها تحتفظ الكلمة في حروفها ثانيا: تبين أن الكلمة منفصلة "وي" " كأن". ثالثا: وتدخل معنى جديدا وهو "معنى بإظهار التحسرو التندم"، وهذا يوافق سياق الآية ومعناها، فإن القوم الذين نزلت عليهم الآيات، قد تحسروا على ماتمنوه

---

[209] الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، الناشر: محمد علي بيضون، ط: الأولى 1418هـ-1997م،ج1،ص129.

[210] مصدر سابق، معاني القرآن للزجاج،ج4، ص157.

من قبل، ورضوا بقضاء الله في ذلك. فهذا المعنى هو الأقرب في نظري لسياق الآية وأسلوبها مع وجاهت القولين للإمامين.

الخلاصة:

1/ اختلاف الإمامين في لفظة في لفظة "ويكأن" في قوله تعالى:" ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر" بمعنى: " ألم تر أن"، ويرجح ابن كثير أن معناها: "ويلك اعلم أن".

2/ المعنيان مرضيان في اللغة العربية.

3/ لاتحصر معنى لفظة "ويكأن" في هاذين القولين.

4/ هناك قول ثالث في معنى اللفظة وهو معنى " التندم والتحسر" وأن القوم تنبهوا فقالوا: وي، متندمين على ما سلف منهم، وكل من تندم أو ندم فإظهار تندمه وندامته أن يقول " وي ".

5/ القول الثالث أظهر عندي وأنسب من قولي الإمامين لإحتفاظ الكلمة بلفظها وزيادة فائدة آخري توافق السياق وهي التندم والتحسر.

الشاهد الثامن: قال تعالى:" ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين"[211].

تحرير نقطة الخلاف :

رجح ابن جرير أن الله تعالى ذكره نهى بقوله: "ولا تسرفوا" ، عن جميع معاني"الإسراف"، ولم يخصص منها معنى دون معنى، ويرجح ابن كثير أن معنى ابن جرير صحيح ولكن ظاهر سياق الآية يدل علي أنه يكون عائدا على الأكل.

الآثار الواردة في الآية والحكم عليها:

الأثر الأول: حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا معتمر بن سليمان، عن عاصم الأحول، عن أبي العالية:"وآتوا حقه يوم حصاده"، قال: كانوا يعطون يوم الحصاد شيئا، ثم تسارفوا، فقال الله:"ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين"[212].

---

[211] سورة الأنعام : الآية 141.

[212] مصدر سابق، تفسير الطبري، ج12، ص174.

حكم الاثر: الأثر ضعيف : وذلك لوجود الحسين هو ابن داود، الملقب بسنيد، وهو ضعيف.قال الهيثمي"سنيد بن داود" ضعفه أحمد ووثقه ابن حبان وأبو حاتم الرازي"[213]

الأثر الثاني: حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدي:"ولا تسرفوا"، لا تعطوا أموالكم فتغدوا فقراء"[214].

حكم الأثر:

الأثر ضعيف: لأن في سند رجلان:أحدهما: أسباط في السند، قال الألباني:" في إسناده أسباط بن نصر الهمداني وهو ضعيف لسوء حفظه قال الحافظ في"التقريب":"صدوق كثير الخطأ""[215].
والآخر: السدي: اسمه إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة–وهو السدي الكبير–، وفيه كلام يسير، ولذلك قال الذهبي في "الكاشف ":حسن الحديث، قال أبو حاتم: "لا يحتج به وقال الحافظ: "صدوق يهم "[216].

حجة ابن جرير:

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى بقوله: "ولا تسرفوا" ، عن جميع معاني"الإسراف"، ولم يخصص منها معنى دون معنى.
وإذ كان ذلك كذلك، وكان "الإسراف" في كلام العرب: الإخطاء بإصابة الحق في العطية، إما بتجاوز حده في الزيادة، وإما بتقصير عن حده الواجب كان معلوما أن المنفق ماله مباراة، والباذله للناس حتى أجحفت به عطيته، مسرف بتجاوزه حد الله إلى ما ليس له. وكذلك المقصر في بذله فيما ألزمه الله بذله فيه، وذلك كمنعه ما ألزمه إيتاءه منه أهل سهمان الصدقة إذا وجبت فيه، أو

---

[213] مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي،المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: 1414 هـ، 1994م،ج5، ص238.

[214] مصدر سابق، تفسير لطبري، ج12، ص174.
[215] دفاع عن الحديث النبوي والسيرة، محمد ناصر الدين الألباني، ج1، ص11.

[216] مصدر سابق، السلسلة الصحيحة، ج7، ص822.

منعه من ألزمه الله نفقته من أهله وعياله ما ألزمه منها. وكذلك السلطان في أخذه من رعيته ما لم يأذن الله بأخذه. كل هؤلاء فيما فعلوا من ذلك مسرفون، داخلون

في معنى من أتى ما نهى الله عنه من الإسراف بقوله: "ولا تسرفوا" ، في عطيتكم من أموالكم ما يجحف بكم إذ كان ما قبله من الكلام أمرا من الله بإيتاء الواجب فيه أهله يوم حصاده. فإن الآية قد كانت تنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب خاص من الأمور، والحكم بها على العام، بل عامة آي القرآن كذلك. فكذلك قوله:"ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين".

ومن الدليل على صحة ما قلنا من معنى "الإسراف" أنه على ما قلنا، قول الشاعر[217]:

أعطوا هنيدة يحدوها ثمانية *** ما في عطائهم من ولا سرف .

يعني بـ"السرف": الخطأ في العطية"[218].

حجة ابن كثير:

اختار ابن جرير قول عطاء، إنه نهي عن الإسراف في كل شيء ولا شك أنه صحيح، لكن الظاهر والله أعلم من سياق الآية، حيث قال تعالى:" كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا" أن يكون عائدا على الأكل، أي لا تسرفوا في الأكل لما فيه من مضرة العقل والبدن، كقوله تعالى:" كلوا واشربوا ولا تسرفوا"[219]، وفي صحيح البخاري تعليقا «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير إسراف ولا مخيلة"[220] وهذا من هذا، والله أعلم"[221].

توجيه كلام الإمامين:

---

[217] هو جرير

[218] مصدر سابق، تفسير الطبري، ج12، ص177.

[219] سورة الأعراف:الآية 31.

[220] مصدر سابق، صحيح البخاري، ج7، ص140.

[221] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج3، ص312.

رجح ابن جرير أن الله تعالى نهى بقوله: "ولا تسرفوا" ، عن جميع معاني"الإسراف"، ولم يخصص منها معنى دون معنى، ويرجح ابن كثير أن معنى ابن جرير صحيح ولكن ظاهر سياق الآية يدل علي أنه يكون عائدا على الأكل.

فكلام ابن جريرأعم وأشمل ، لأن الخطاب عام يحتاج تخصيصه لقرينة، فقوله تعالى":" كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا"، هو أمر بأكل الطيبات من الثمار، ثم أمر بأداء حق المساكين، كما قال تعالى"والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم "[222]، ثم أوجب عدم الإسراف في ذلك كله ، أي لاتسرفوا في الأكل ولا في العطاء، فكما ذكر ابن جرير أن الإسراف لفظة شاملة المعنى ، فالتقصير في الواجب يعتبر إسرافا، والزيادة على القدر المشروع يعتبر إسرافا، إن كان واجب أوجبه الله عليك لنفسك، أو أوجبه عليك لغيره، ففي كلاهما يقع الإسراف، وقد جمعها الله في هذه الآية:" كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا"، فقوله تعالى:" كلوا من ثمره إذا أثمر" واجب أوجبه الله عليك لنفسك، وقوله " وآتوا حقه يوم حصاده" واجب أوجبه عليك للمساكين ، وقوله " ولا تسرفوا" أمربعدم الإسراف في هذه الواجبات كلها، وليست هناك ثمت قرينة تدل على أن الضمير عائد للأكل فقط، بل الضمير عائد للجميع. مالم تأتي قرينة تخصص هذا من هذا، بل توجيهها على أن الضمير يعود إلى قوله" وآتوا حقه يوم حصاده" أولى من رجوعه لقوله:" كلوا من ثمره إذا أثمر"، والأصل كما هو معلوم أن الضمير يعود على أقرب مذكور، وأقرب مذكور في الآية قوله" وآتوا حقه يوم حصاده". قال ابن حزم: الضمير راجع إلى أقرب مذكور لا يجوز غير ذلك لأنه مبدل من مخبر عنه أو مأمور فيه فلو رجع إلى أقرب مذكور لكان ذلك إشكالا رافعا للفهم وإنما وضعت اللغات للبيان فإذا كانت الأشياء المحكوم فيها أو المخبر عنها كثيرة وجاء الضمير يعقبها ضمير جمع فهو راجع إلى جميعها كما قلنا في الاستثناء ولا فرق ألا ترى أنك لو قلت أتاني زيد وعمرو وخالد فقتلته أنه لا خلاف بين أحد من أهل اللغة في أن الضمير راجع إلى خالد وأنه لا يجوز رده إلى زيد أو إلى عمرو فإن وجد يوما ما في شيء من النصوص رجوع ضمير إلى أبعد مذكور فهو بمنزلة ما ذكرنا من نقل

[222] سورة المعارج: الآية 24–25.

اللفظ عن موضوعه في اللغة ولو قال أتاني زيد وعمرو وخالدوعبد الله ويزيد فقتلتهم لكان راجعا بلا خلاف بين أحد من أهل اللغة إلى جميعهم وكلهم"[223]. ويجوز أن يعود الضمير على جميعهم.

الخلاصة:

1/ إختلف الإمامان في معنى قوله تعالى:" ولاتسرفوا" على يعود الضمير، فرجح ابن جرير أن الضمير يعود على الجميع، وأما ابن كثير فيرى أن الآية عنت الأكل، أي: لاتسرفوا في الأكل.

2/ الآثار الوارد في معنى " ولاتسرفوا" كلها لاتصح كما بينا ذلك.

3/ أهل العربية والأصول يتفقون على أن الضمير يعود على أقرب مذكور.

4/ معنى الآية بتعميم الضمير لجميعها أشمل وأوضح.

5/ ليس هناك قرينة تبين تخصيص "الأكل" بهذا الضمير.

6/ الراجح عندي في المسألة قول ابن جرير أن الضمير يشملهم جميعا.

[223] الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر، قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت، ج4، ص2.

المبحث الثاني: دلالات الألفاظ

الشاهد الأول: قال تعالى: "مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان"[224].

تحرير نقطة الخلاف:

يرى الإمام ابن جرير أن البحريين بحر السماء وبحر الأرض، والحافظ ابن كثير يرجح أنه بحر الأرض فقط .

حجة بن جرير:

قال أبو جعفر:" وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عني به بحر السماء، وبحر الأرض، وذلك أن الله قال "يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان" ، واللؤلؤ والمرجان إنما يخرج من أصداف بحر الأرض عن قطر ماء السماء، فمعلوم أن ذلك بحر الأرض وبحر السماء"[225].

حجة ابن كثير:

قال ابن كثير:"وقوله تعالى: مرج البحرين يلتقيان قال ابن عباس: أي أرسلهما. وقوله: يلتقيان قال ابن زيد: أي منعهما أن يلتقيا بما جعل بينهما من البرزخ الحاجز الفاصل بينهما، والمراد بقوله البحرين الملح والحلو، فالحلو هذه الأنهار السارحة بين الناس، وقد قدمنا الكلام على ذلك في سورة الفرقان عند قوله تعالى:"وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا"[226]. وقوله تعالى: وجعل بينهما برزخا وحجرا أي بين العذب والمالح برزخا أي حاجزا وهو اليبس من الأرض، وحجرا محجورا أي مانعا من أن يصل أحدهما إلى الآخر، كقوله تعالى: مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فبأي آلاء ربكما تكذبان"[227]. وقوله تعالى: أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين

---

[224] سورة الرحمن : الآيات 20/19.

[225] مصدر سابق، تفسير الطبري، ج23، ص30.

[226] سورة الفرقان:الآية 53.

[227] سورة الرحمن: 19- 21.

حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون"[228])[229]. وقد اختار ابن جرير هاهنا أن المراد بالبحرين: بحر السماء وبحر الأرض، وهو مروي عن مجاهد وسعيد بن جبير وعطية وابن أبزى، قال ابن جرير: لأن اللؤلؤ يتولد من ماء السماء وأصداف بحر الأرض وهذا وإن كان هكذا لكن ليس المراد بذلك ما ذهب إليه، فإنه لا يساعده اللفظ فإنه تعالى قد قال: بينهما برزخ لا يبغيان أي وجعل بينهما برزخا، وهو الحاجز من الأرض لئلا يبغي هذا على هذا، وهذا على هذا، فيفسد كل واحد منهما الآخر ويزيله عن صفته التي هي مقصودة منه، وما بين السماء والأرض لا يسمى برزخا وحجرا محجورا"[230].

توجيه قول الإماميين:

قول ابن كثير أقرب إلى المعنى ، لأن سياق لآيات التى بعدها يؤيد ماذهب إليه بن كثير، لأن الآية التى بعدها يقول الله تعالى فيها:" بينهما برزخ لا يبغيان" فقوله تعالى:" لايبغيان"يدل على أن العلة في وجود البرزخ بينهما "ألا يبغى البحرين بعضها على بعض"، وهذه العلة لاتناسب ماذهب إليه ابن جرير، ولكنها أقرب إلى مارجحه ابن كثير، فلا يبغى البحر المالح على البحر الحلو، ويؤيد هذا قول الله تعالى:" أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون"[231]،فهذا البرزخ هو بثابة الحاجز بين البحريين لئلا يختلطا. وأما قوله تعالى:"يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان"[232].وإنما يخرج من الملح دون العذب "[233]. مرج البحرين أرسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقيين، لا فصل بين الماءين في مرأى العين بينهما برزخ حاجز من قدرة الله تعالى لا يبغيان لا يتجاوزان حديهما ولا يبغى أحدهما على الآخر بالممازجة، فإن قلت: لم قال منهما وإنما يخرجان من الملح؟ قلت:

---

[228] سورة النمل:الآية 61.

[229] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج6، ص105.
[230] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج7، ص455.
[231] سورة النمل:الآية 61.

[232] سورة الرحمن :الآية 22.
[233] مصدر سابق، معانى القرآن، الفراء، ج3، ص115.

لما التقيا وصارا كالشيء الواحد: جاز أن يقال: يخرج منهما، كما يقال يخرجان من البحر، ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه، وتقول: خرجت من البلد وإنما خرجت من محلة من محاله، بل من دار واحدة من دوره"[234]، والآمر الآخر فإن العرب تستخدم هذا الأسلوب وهو حمل أحد الإسمين على الآخر، قال الخطابي: في حديث عبد الله بن مغفل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بين كل أذانين صلاة "[235] أراد بالأذانين الأذان والإقامة، حمل أحد الاسمين على الآخر كقولهم: الأسودين للتمر والماء وإنما الأسود أحدهما، وكقولهم: سيرة العمرين يريدون أبا بكر وعمر – رضي الله تعالى عنهما ويحتمل أن يكون الاسم لكل واحد منهما حقيقة"[236].

الخلاصة:

1/ إختلاف الإماميين في معنى " البحرين" فرجح ابن جرير أن البحرين : بحر السماء والأرض، ورجح ابن كثير أنه بحر الأرض والمقصود الماء المالح والماء الحلو.

2/ سياق الآيات يؤيد ماذهب إليه ابن كثير.

3/ معنى الآية يوافق مارجحه ابن كثير.

4/ ماذهب إليه ابن جرير ليس بعيدا، ولكنه خلاف الأولى.

5/ الراجح من القولين عندي قول ابن كثير.

---

[234] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة - 1407 هـ،ج4، ص446.

[235] مصدر سابق، صحيح مسلم، رقم الحديث 838، ج1، ص573.

[236] أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي الرومي الحنفي، المحقق: يحيى حسن مراد، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: الأولى ،2004م-1424هـ،ج1، ص21.

الشاهد الثاني: قال تعالى:"ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم"[237].

تحرير نقطة الخلاف:

يرجح الإمام ابن جرير أن قوله تعالى" أو يأتيهم عذاب يوم عقيم"، يوم بدر، ويرجح الحافظ ابن كثير أنها يوم القيامة.

حجة ابن جرير:

"أولى بتأويل الآية، لأنه لا وجه لأن يقال: لا يزالون في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة، أو تأتيهم الساعة; وذلك أن الساعة هي يوم القيامة، فإن كان اليوم العقيم أيضا هو يوم القيامة فإنما معناه ما قلنا من تكرير ذكر الساعة مرتين باختلاف الألفاظ، وذلك ما لا معنى له. فإذ كان ذلك كذلك، فأولى التأويلين به أصحهما معنى وأشبههما بالمعروف في الخطاب، وهو ما ذكرنا. في معناه. فتأويل الكلام إذن: ولا يزال الذين كفروا في مرية منه، حتى تأتيهم الساعة بغتة فيصيروا إلى العذاب العقيم، أو يأتيهم عذاب يوم عقيم له، فلا ينظرون فيه إلى الليل ولا يؤخروا فيه إلى المساء، لكنهم يقتلون قبل المساء"[238]

حجة ابن كثير:

"قال عكرمة ومجاهد في رواية عنهما: هو يوم القيامة، لا ليل له، وكذا قال الضحاك والحسن البصري، وهذا القول هو الصحيح، وإن كان يوم بدر من جملة ما أوعدوا به لكن هذا هو المراد، ولهذا قال:"الملك يومئذ لله يحكم بينهم" كقوله: مالك يوم الدين"[239] "[240].

---

[237] سورة الحج: الآية 55.

[238] مصدر سابق، تفسير الطبري، ج18، ص673.

[239] سورة الفاتحة:الآية 4

[240] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج5، ص390.

توجيه قول الإمامين:

يرجح الإمام ابن جرير أن قوله تعالى:"أويأتيهم عذاب يوم عقيم" هو يوم بدر، وهذا الذي قاله وجه محتمل ، وذلك أن يوم بدر كان يوم على الكافرين غير يسير، لأنهم قتلوا فيه وأسروا ، وكذلك يوم القيامة لهو أشد عليهم من هذا اليوم، وفي هذه الغزوة قلبت الموازين حيث أنهم لم يتوقعوا هذه الخسائر الفادحة التي حلت بهم، وكذلك يوم القيامة سمي بيوم التغابن، لأنهم يغبنون فيه، وفي هذه الغزوة تخطفت الملائكة بالعذاب الشديد، وكذلك يوم القيامة فإن الزبانية يتخطفون بأشد من تخطفهم يوم بدر، وقد بخسهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله للموتي " هل وجدتم ماوعد ربكم حقا"[241] ، وكذلك يبخسون يوم القيامة بقول المؤمنين" ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين"[242] وعلى هذا فالقولين صائبين لكن كلام ابن كثير هو الأصوب، أن يوم القيامة يدخل دخولا أوليا، أما يوم البدر فإنه يشمل المعنى.

الخلاصة:

1/ قولين الإمامين على الصواب.

2/ معني الآية يشمل المعنيين.

الشاهد الثالث: قال تعالى:"وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير"[243].

تحرير نقطة الخلاف:

[241] مصدر سابق، صحيح البخاري، ج5، ص77.
[242] سورة الأعراف: الآية 44.
[243] سورة فاطر: الآية 37.

يرجح الإمام ابن جرير أن العمر المذكورة في الآية هو "عمر الأربعين" ، والحافظ ابن كثير يرجح أنه "عمر الستين"

الآثار الواردة في الآية:

الأثر الأول: حدثني يعقوب قال: ثنا هشيم، عن مجالد، عن الشعبي عن مسروق أنه كان يقول: إذا بلغ أحدكم أربعين سنة"[244].

الحكم على الأثر:

قال الألباني: "هذا إسناد ضعيف. لأن مجالد – وهو ابن سعيد – ليس بالقوي.مجالد– وهو ابن سعيد . من مشاهير الضعفاء. وبه أعله الهيثمي في "المجمع " "416/9"، المتقرر فيه أنه لا يحتج به؛ قال الذهبي:"فيه لين". وقال الحافظ:"ليس بالقوي، وقد تغير في آخر عمره"[245].

الأثر الثاني: قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا دحيم، حدثنا ابن أبي فديك، حدثني إبراهيم بن الفضل المخزومي عن ابن أبي حسين المكي، أنه حدثه عن عطاء هو ابن رباح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا كان يوم القيامة، قيل: أين أبناء الستين؟ وهو العمر الذي قال الله تعالى فيه أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير»[246]

الحكم على الأثر:

قال ابن كثير:" وهذا الحديث فيه نظر لحال إبراهيم بن الفضل، والله أعلم ،وأبو إسحاق المخزومي: هو إبراهيم بن الفضل المدني؛ وقد تكلم فيه بعض أهل الحديث من قبل حفظه، وله غرائب"! قلت: لقد سهل الترمذي فيه القول، فالرجل ممن اتفق أئمة الحديث على تضعيفه. بل قال فيه الدارقطني: "متروك". وهذا معنى قول البخاري فيه:"منكر الحديث".وكذا قال أبو حاتم. وقال

[244] مصدر سابق، تفسير الطبري، ج20، ص477.

[245] مصدر سابق، السلسلة الضعيفة، ج8، ص64.

[246] مصدر سابق، تفسير ابن أبي حاتم، ج10، ص3184.

البوصيرى فى " الزوائد " (ق 1/158) : " هذا إسناد ضعيف , إبراهيم بن الفضل المخزومى ضعفه أحمد وابن معين والبخارى والنسائى والأزدى والدارقطنى"[247].

حجة ابن جرير:

قال أبو جعفر:"وأشبه القولين بتأويل الآية إذ كان الخبر الذي ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرا في إسناده بعض من يجب التثبت في نقله، قول من قال ذلك أربعون سنة، لأن في الأربعين يتناهى عقل الإنسان وفهمه، وما قبل ذلك وما بعده منتقص عن كماله في حال الأربعين"[248].

حجة ابن كثير:

أورد الحافظ ابن كثير: حديث أبي هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد أعذر الله عز وجل في العمر إلى صاحب الستين والسبعين» فقد صح هذا الحديث من هذه الطرق، فلو لم يكن إلا الطريق التي ارتضاها أبو عبد الله البخاري شيخ هذه الصناعة لكفت وقول ابن جرير: إن في رجاله بعض من يجب التثبت في أمره لا يلتفت إليه مع تصحيح البخاري، والله أعلم. ولما كان هذا هو العمر الذي يعذر الله تعالى إلى عباده به ويزيح به عنهم العلل، كان هو الغالب على أعمار هذه الأمة، كما ورد بذلك الحديث"[249].

توجيه قول الإمامين:

يرجح الإمام ابن جرير أن العمر المقصود في الآية أربعون سنة، وهذا الذي ذهب إليه مرجوح، والراجح ماذهب إليه ابن كثير أنها ستون سنة، وذلك لقرينة أن العمر الكامل للإنذار ستون سنة،

[247] مصدر سابق، السلسلة الضعيفة، ج10، ص494.
[248] مصدر سابق، تفسير الطبري، ج20، ص478.
[249] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج6، ص489.

قال ابن جزي الكلبي:" أن مدة التذكير ستون سنة، وقيل أربعون، والأول أرجح لقوله عليه الصلاة والسلام:" من عمره الله ستين فقد أعذر إليه في العمر"[250]

قال القسطلاني:" ولما كان هذا هو العمر يعذر الله إلى عباده به كان هذا هو الغالب على أعمار هذه الأمة "[251] يقصد به قول النبي صلى الله عليه وسلم:" أعمار أمتي مابين الستين والسبعين وقل من يتجاوز ذلك"[252]

الخلاصة:

1/ المتبادر للأذهان مع قوله تعالى"مايتذكر فيه من تذكر" أنها فترة كافية، فالأقرب أن نأخذ العدد الأعلى، وهو ستون سنة.

2/ الآثار التي تدل على الستين هي الصحيحة عما سواها.

3/ الراجح عندي من القولين ماذهب إليه ابن كثير.

الشاهد الرابع: قال تعالى:" وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين"[253].

تحرير نقطة الخلاف:

رجح ابن جرير أن الذي تعلمه آدم عليه الصلاة والسلام أسماء ذريته وأسماء الملائكة، ويرى ابن كثير أنه تعلم أسماء كل شيئ.

حجة ابن جرير:

---

[250] التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي، م ح: عبد الله الخالدي، الناشر: دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط: الأولى، 1416هـ، ج2، ص177.

[251] إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، عبد الملك القسطلاني، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرة، ط: السابعة، 1323هـ، ج9، ص241.

[252] مصدر سابق، الجامع الصغير، ج5، ص19.

[253] سورة البقرة: الآية 31.

قل أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب، وأشبهها بما دل على صحته ظاهر التلاوة، قول من قال في قوله:"وعلم آدم الأسماء كلها" إنها أسماء ذريته وأسماء الملائكة، دون أسماء سائر أجناس الخلق. وذلك أن الله جل ثناؤه قال:"ثم عرضهم على الملائكة"، يعني بذلك أعيان المسمين بالأسماء التي علمها آدم. ولا تكاد العرب تكني بالهاء والميم إلا عن أسماء بني آدم والملائكة. وأما إذا كانت عن أسماء البهائم وسائر الخلق سوى من وصفناها، فإنها تكني عنها بالهاء والألف أو بالهاء والنون، فقالت:"عرضهن" أو "عرضها"، وكذلك تفعل إذا كنت عن أصناف من الخلق كالبهائم والطير وسائر أصناف الأمم وفيها أسماء بني آدم والملائكة، فإنها تكنى عنها بما وصفنا من الهاء والنون أو الهاء والألف. وربما كنت عنها، إذا كان كذلك بالهاء والميم، كما قال جل ثناؤه:"والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع"[254]. ، فكنى عنها بالهاء والميم، وهي أصناف مختلفة فيها الآدمي وغيره. وذلك، وإن كان جائزا، فإن الغالب المستفيض في كلام العرب ما وصفنا، من إخراجهم كناية أسماء أجناس الأمم – إذا اختلطت – بالهاء والألف أو الهاء والنون. فلذلك قلت: أولى بتأويل الآية أن تكون الأسماء التي علمها آدم أسماء أعيان بني آدم وأسماء الملائكة، وإن كان ما قال ابن عباس جائزا على مثال ما جاء في كتاب الله من قوله:"والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه" الآية" [255].

حجة ابن كثير:

اختار ابن جرير "أنه علمه أسماء الملائكة وأسماء الذرية" دون أسماء سائر أجناس الخلق" لأنه قال ثم عرضهم. وهذا عبارة عما يعقل. وهذا الذي رجح به ليس بلازم، فإنه لا ينفي أن يدخل معهم غيرهم، ويعبر عن الجميع بصيغة من يعقل للتغليب كما قال تعالى والله خلق كل دابة من

[254] سورة النور:الآية 45.
[255] مصدر سابق، تفسير الطبري، ج1، ص486.

ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير "256"[257].

توجيه قول الإمامين:

قول ابن جرير ان المقصود أسماء ذريته وأسماء الملائكة فقط قول مرجوح، والراجح أن نأخذها على إطلاقها أن كل ماشاء الله يعلمه علمه، ولايجوز التخصيص إلا بقرينة واضحة وليست ثمت قرينة في هذا التخصيص فيصبح الأمر على عمومه، ثم سياق الآيات يدل على إظهار عظمة المعلِم وهو الله تعالى، وكذلك المعلَم وهو آدم عليه الصلاة والسلام، فالعموم يوافق هذه العظمة، ثم إن لفظة "كل" من صيغ العموم،وكذلك " أل" الإستغراقية من ألفاظ العموم فيبقى العموم على أصله.

الخلاصة:

1/ أن الأصل العموم مالم يأتي صارف يصرفه من العموم إلى الخصوص.

2/ سياق الآيات يوافقه التعميم.

3/ الراجح ماذهب إليه ابن كثير.

الشاهد الخامس: قال تعالى:" فذبحوها وما كادوا يفعلون"[258].

تحرير نقطة الخلاف:

يرجح ابن جرير لم يكادوا يفعلون لغلاء ثمنها، ويرجح ابن كثيرأنه بسبب عنادهم.

حجة ابن جرير:

قال أبو جعفر: "والصواب من التأويل عندنا، أن القوم لم يكادوا يفعلون ما أمرهم الله به من ذبح البقرة، للخلتين كلتيهما: إحداهما غلاء ثمنها، مع ما ذكر لنا من صغر خطرها وقلة قيمتها؛

[256] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج1، ص130.

[257] سورة النور:الآية 45

[258] سورة البقرة: الآية 71.

والأخرى خوف عظيم الفضيحة على أنفسهم، بإظهار الله نبيه موسى صلوات الله عليه وأتباعه – على قاتله"[259].

حجة بن كثير:

قال ابن كثير: "قال محمد بن كعب، ومحمد بن قيس: "فذبحوها وما كادوا يفعلون" لكثرة ثمنها. وفي هذا نظر؛ لأن كثرة ثمنها لم يثبت إلا من نقل بني إسرائيل، كما تقدم من حكاية أبي العالية والسدي، ورواه العوفي عن ابن عباس. وقال عبيدة، ومجاهد، ووهب بن منبه، وأبو العالية، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: إنهم اشتروها بمال كثير وفيه اختلاف، ثم قد قيل في ثمنها غير ذلك. وقال عبد الرزاق: أنبأنا ابن عيينة، أخبرني محمد بن سوقة، عن عكرمة، قال: ما كان ثمنها إلا ثلاثة دنانير وهذا إسناد جيد عن عكرمة، والظاهر أنه نقله عن أهل الكتاب أيضا"[260].

توجيه قول الإمامين:

ماذهب إليه ابن جرير قول مرجوح لأنه لايعطي مقصد الآية ، ثم إنه لم يثبت من حيث الناحية الحديثية، أما قول ابن كثير فيعطي المعنى المراد وهو أنهم أشتهروا بعنادهم، وتثبيطهم عن أوامر الله تعالى، قال القاسمي:" فذبحوها وماكادوا يفعلون" كاد من أفعال المقاربة فذبحوها والحال أنهم كانو قبل ذلك في معزل منه،وأنهم لفرط تطويلهم وكثرة مراجعتهم ماكاد ينتهي خيط إسهابهم"[261]

الخلاصة:

1/ قول ابن جرير السبب غلاء ثمنها يحتاج إلى أثر صحيح.

2/ الراجح قول ابن كثير.

---

[259] مصدر سابق، تفسير الطبري، ج2، ص220.

[260] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج1، ص301.

[261] محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، م ح: محمد باسل، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط:الأولى، 1418هـ ، ج1، ص327.

الشاهد السادس: قال تعالى:"أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون"[262].

تحرير نقطة الخلاف:

رجح ابن جرير أن الآية عنت الذين سمعوا كلام الله منه كما سمعه موسى عليه الصلاة والسلام، ورجح ابن كثير أنهم حرفوه بعد ما سمعوه من موسى.

حجة ابن جرير:

قال أبو جعفر: وأولى التأويلين اللذين ذكرت بالآية، وأشبههما بما دل عليه ظاهر التلاوة، ما قاله الربيع بن أنس، والذي حكاه ابن إسحاق عن بعض أهل العلم: من أن الله تعالى ذكره إنما عنى بذلك من سمع كلامه من بني إسرائيل، سماع موسى إياه منه، ثم حرف ذلك وبدل، من بعد سماعه وعلمه به وفهمه إياه...فهؤلاء الذين بين أظهركم من بقايا نسلهم، أحرى أن يجحدوا ما أتيتموهم به من الحق، وهم لا يسمعونه من الله، وإنما يسمعونه منكم – وأقرب إلى أن يحرفوا ما في كتبهم من صفة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ويبدلوه، وهم به عالمون، فيجحدوه ويكذبوا – من أوائلهم الذين باشروا كلام الله من الله جل ثناؤه، ثم حرفوه من بعد ما عقلوه وعلموه متعمدين التحريف.ولو كان تأويل الآية على ما قاله الذين زعموا أنه عني بقوله:"يسمعون كلام الله"، يسمعون التوراة، لم يكن لذكر قوله:"يسمعون كلام الله" معنى مفهوم. لأن ذلك قد سمعه المحرف منهم وغير المحرف، فخصوص المحرف منهم بأنه كان يسمع كلام الله – "[263].

حجة ابن كثير:

[262] سورة البقرة: الآية75.

[263] مصدر سابق،تفسير الطبري،2، ص248.

قال ابن كثير:" قال السدي: وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه قال: هي التوراة حرفوها، وهذا الذي ذكره السدي أعم مما ذكره ابن عباس وابن إسحاق، وإن كان قد اختاره ابن جرير لظاهر السياق، فإنه ليس يلزم من سماع كلام الله أن يكون منه كما سمعه الكليم موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام، وقد قال الله تعالى: وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله" أي مبلغا إليه"[264].

توجيه قول الإمامين:

قول ابن جرير مرجوح لأن الله تعالى أخبر أنه خصه بالكلام من قومه كما قال تعالى:" قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي"[265] وعلى هذا يكون قول ابن كثير هو الأقرب بتأويل الآية ، وهو أنهم سمعوا التوراة من موسى ثم حرفوها.

الخلاصة:

1/ أن بني إسرائيل لم يسمعوا التوراة من الله تعالى.

2/ أن الله خص موسى عليه الصلاة والسلام بتكليمه وسماع كلامه.

3/ الراجح ماذهب إليه ابن كثير.

الشاهد السابع : قال تعالى:"وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم "[266].

تحريرنقطة الخلاف:

يرجح الإمام ابن جرير هو من قول النصاري ، ورجح الحافظ ابن كثير أنه قول مشركي العرب.

---

[264] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج1، ص201..
[265] سورة الأعراف: الآية 144.
[266] سورة البقرة: الآية 118.

حجة ابن جرير:

قال أبو جعفر:"وأولى هذه الأقوال بالصحة والصواب قول القائل: إن الله تعالى عنى بقوله: (وقال الذين لا يعلمون) ، النصارى دون غيرهم. لأن ذلك في سياق خبر الله عنهم، وعن افترائهم عليه وادعائهم له ولدا. فقال جل ثناؤه، مخبرا عنهم فيما أخبر عنهم من ضلالتهم أنهم مع افترائهم على الله الكذب بقوله: (اتخذ الله ولدا) ، تمنوا على الله الأباطيل، فقالوا جهلا منهم بالله وبمنزلتهم عنده وهم بالله مشركون: (لولا يكلمنا الله) ، كما يكلم رسوله وأنبياءه، أو تأتينا آية كما أتتهم؟ وأما الزاعم: أن الله عنى بقوله:"وقال الذين لا يعلمون" العرب، فإنه قائل قولا لا خبر بصحته، ولا برهان على حقيقته في ظاهر الكتاب. والقول إذا صار إلى ذلك كان واضحا خطؤه، لأنه ادعى ما لا برهان على صحته، وادعاء مثل ذلك لن يتعذر على أحد"[267].

حجة ابن كثير:

قال ابن كثير: قال مجاهد: وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية، قال: النصارى تقوله، وهو اختيار ابن جرير، قال: لأن السياق فيهم. وفي ذلك نظر.وحكى القرطبي : لولا يكلمنا الله، أي: يخاطبنا بنبوتك يا محمد،"قلت": وهو ظاهر السياق، والله أعلم.وقال أبو العالية والربيع بن أنس وقتادة والسدي في تفسير هذه الآية: هذا قول كفار العرب كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم، قالوا: هم اليهود والنصارى. ويؤيد هذا القول، وأن القائلين ذلك هم مشركو العرب، قوله تعالى: وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون"[268]، وقوله تعالى: وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا"[269] إلى قوله: قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا"[270]

---

[267] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج2، ص552.

[268] سورة الأنعام: 124.

[269] سورة الإسراء:الآية 90.

[270] سورة الإسراء:الآية 93.

توجيه قول الإمامين:

ماذهب إليه ابن جريرفي تأويل الآية فيه نظر، لأن قال في تمام الآية "كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم" فلو سلمنا ان المخاطبين هم النصاري فما معنى تمام هذه الآية، ولكن الصحيح ماذهب إليه ابن كثير حيث يصبح المعنى أن مشركي قريش شابهوا النصارى فيما ذهبوا إليه.

الخلاصة:

1/ القرائن تؤيد أن المعنيون بالآية هم مشركي العرب.

2/ الراجح ماذهب إليه ابن كثير.

الشاهد الثامن: قال تعالى" ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون"[271].

تحرير نقطة الخلاف:

يرجح الإمام ابن جرير تأويل الآية بمعنى: مثل الذين كفروا في ندائهم الآلهة ودعائهم إياها، ويرجح الحافظ ابن كثير ومثل الذين كفروا أي فيما هم فيه من الغي والضلال والجهل كالدواب السارحة التي لا تفقه ما يقال لها بل إذا نعق بها راعيا، أي دعاها إلى ما يرشدها لا تفقه ما يقول ولا تفهمه بل إنما تسمع صوته فقط.

حجة ابن جرير:

قال أبو جعفر: وأولى التأويل عندي بالآية، التأويل الأول الذي قاله ابن عباس ومن وافقه عليه. وهو أن معنى الآية: وعظ الكافر وواعظه، كمثل الناعق بغنمه ونعيقه، فإنه يسمع نعقه ولا يعقل كلامه، تأول ذلك أنه بمعنى: مثل الذين كفروا في ندائهم الآلهة ودعائهم إياها. فإن قال قائل ومثل: وما دليلك على أن المقصود بهذه الآية اليهود؟ قيل: دليلنا على ذلك ما قبلها من الآيات

[271] سورة البقرة: الآية 171.

وما بعدها، فإنهم هم المعنيون به. فكان ما بينهما بأن يكون خبرا عنهم، أحق وأولى من أن يكون خبرا عن غيرهم، حتى تأتي الأدلة واضحة بانصراف الخبر عنهم إلى غيرهم. وإنما اخترنا هذا التأويل، لأن هذه الآية نزلت في اليهود، وإياهم عنى الله تعالى ذكره بها، ولم تكن اليهود أهل أوثان يعبدونها، ولا أهل أصنام يعظمونها ويرجون نفعها أو دفع ضرها. ولا وجه –إذ كان ذلك كذلك– لتأويل من تأول ذلك أنه بمعنى: مثل الذين كفروا في ندائهم الآلهة ودعائهم إياها. فإن قال قائل: وما دليلك على أن المقصود بهذه الآية اليهود؟ قيل: دليلنا على ذلك ما قبلها من الآيات وما بعدها، فإنهم هم المعنيون به. فكان ما بينهما بأن يكون خبرا عنهم، أحق وأولى من أن يكون خبرا عن غيرهم، حتى تأتي الأدلة واضحة بانصراف الخبر عنهم إلى غيرهم"[272].

حجة ابن كثير:

ومثل الذين كفروا أي فيما هم فيه من الغي والضلال والجهل كالدواب السارحة التي لا تفقه ما يقال لها بل إذا نعق بها راعيا، أي دعاها إلى ما يرشدها لا تفقه ما يقول ولا تفهمه بل إنما تسمع صوته فقط. هكذا روي عن ابن عباس وأبي العالية ومجاهد وعكرمة وعطاء والحسن وقتادة وعطاء الخراساني والربيع بن أنس نحو هذا. وقيل: إنما هذا مثل ضرب لهم في دعائهم الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل شيئا واختاره ابن جرير ، والأول أولى، لأن الأصنام لا تسمع شيئا ولا تعقله ولا تبصره ولا بطش لها ولا حياة فيها"[273].

توجيه قول الإمامين:

كلام الإمامين يدور حول معنى واحد وهو أن الكفار في الإقتداء بكبرائهم وساداتهم في طاعة عمياء، فإنهم يتبعون ساداتهم كما تتبع البهائم راعيها، أما عن الله فإنهم لايفقهون عنه شيئا كما قال تعالى:" ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم

[272] مصدر سابق،تفسير الطبري،ج3، ص314.

[273] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج1، ص349..

آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون"[274] وكفى بهذا الوصف قُبحا أن يرضى بكلام الخلق، ويعرض عن كلام الله تعالى، وهذا هو الخذلان بعينه نسأل السلامة والعافية.

الخلاصة:

1/ أن المعنيين متقاربين.

2/ الجمع بين القولين أكثر جزالة.

الشاهد التاسع: قال تعالى:"ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم".[275]

تحرير نقطة الخلاف:

يرجح الإمام ابن جرير أن المعنون بالآية هم النصاري ، خربوا بيت المقدس، ويرجح الحافظ ابن كثير أنهم مشركي العرب خربوا البيت الحرام.

حجة ابن جرير:

قال أبو جعفر: وأولى التأويلات التي ذكرتها بتأويل الآية قول من قال: عنى الله عز وجل بقوله:"ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه" النصارى. وذلك أنهم هم الذين سعوا في خراب بيت المقدس، وأعانوا بختنصر على ذلك، ومنعوا مؤمني بني إسرائيل من الصلاة فيه بعد منصرف بختنصر عنهم إلى بلاده.

[274] سورة الأعراف: الآية 179.
[275] سورة البقرة: الآية 114.

والدليل على صحة ما قلنا في ذلك، قيام الحجة بأن لا قول في معنى هذه الآية إلا أحد الأقوال الثلاثة التي ذكرناها، وأن لا مسجد عنى الله عز وجل بقوله:"وسعى في خرابها"، إلا أحد المسجدين، إما مسجد بيت المقدس، وإما المسجد الحرام. وإذ كان ذلك كذلك = وكان معلوما أن مشركي قريش لم يسعوا قط في تخريب المسجد الحرام، وإن كانوا قد منعوا في بعض الأوقات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الصلاة فيه = صح وثبت أن الذين وصفهم الله عز وجل بالسعي في خراب مساجده، غير الذين وصفهم الله بعمارتها. إذ كان مشركو قريش بنوا المسجد الحرام في الجاهلية، وبعمارته كان افتخارهم، وإن كان بعض أفعالهم فيه، كان منهم على غير الوجه الذي يرضاه الله منهم. وأخرى، أن الآية التي قبل قوله:"ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه" ، مضت بالخبر عن اليهود والنصارى وذم أفعالهم، والتي بعدها نبهت بذم النصارى والخبر عن افترائهم على ربهم، ولم يجر لقريش ولا لمشركي العرب ذكر، ولا للمسجد الحرام قبلها، فيوجه الخبر – بقول الله عز وجل:"ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه" – إليهم وإلى المسجد الحرام. وإذ كان ذلك كذلك، فالذي هو أولى بالآية أن يوجه تأويلها إليه، وهو ما كان نظير قصة الآية قبلها والآية بعدها، إذ كان خبرها لخبرهما نظيرا وشكلا إلا أن تقوم حجة يجب التسليم لها بخلاف ذلك، وإن اتفقت قصصها فاشتبهت.

فإن ظن ظان أن ما قلنا في ذلك ليس كذلك، إذ كان المسلمون لم يلزمهم قط فرض الصلاة في "المسجد المقدس، فمنعوا من الصلاة فيه فيلجئون" توجيه قوله"ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه" إلى أنه معني به مسجد بيت المقدس – فقد أخطأ فيما ظن من ذلك. وذلك أن الله جل ذكره إنما ذكر ظلم من منع من كان فرضه الصلاة في بيت المقدس من مؤمني بني إسرائيل، وإياهم قصد بالخبر عنهم بالظلم والسعي في خراب المسجد. وإن كان قد دل بعموم قوله:"ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه"، أن كل مانع مصليا في مسجد لله، فرضا كانت صلاته فيه أو تطوعا–، وكل ساع في إخرابه فهو من المعتدين الظالمين"[276].

[276] مصدر سابق، تفسير الطبري،ج2، ص523.

حجة ابن كثير:

اختار ابن جرير القول الأول ، واحتج بأن قريشا لم تسع في خراب الكعبة، وأما الروم فسعوا في تخريب بيت المقدس."قلت" والذي يظهر، والله أعلم، القول الثاني كما قاله ابن زيد، وروي عن ابن عباس، لأن النصارى إذا منعت اليهود الصلاة في البيت المقدس، كأن دينهم أقوم من دين اليهود، وكانوا أقرب منهم، ولم يكن ذكر الله من اليهود مقبولا إذ ذاك، لأنهم لعنوا من قبل على لسان داود وعيسى ابن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، وأيضا فإنه تعالى، لما وجه الذم في حق اليهود والنصارى، شرع في ذم المشركين الذين أخرجوا الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكة، ومنعوهم من الصلاة في المسجد الحرام، وأما اعتماده على أن قريشا لم تسع في خراب الكعبة، فأي خراب أعظم مما فعلوا؟ أخرجوا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، واستحوذوا عليها بأصنامهم وأندادهم وشركهم، كما قال تعالى: وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون"[277]، وقال تعالى: ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون. إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين"[278] وقال تعالى: هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما"[279] فقال تعالى: إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله"[280] ، فإذا كان من هو كذلك مطرودا منها مصدودا عنها، فأي خراب لها أعظم من ذلك؟ وليس المراد من عمارتها زخرفتها وإقامة صورتها فقط، إنما عمارتها بذكر الله فيها وإقامة شرعه فيها، ورفعها عن الدنس والشرك"[281].

---

[277] سورة الأنفال:الآية 34.
[278] سورة التوبة:الآية 17- 18.
[279] " سورة الفتح:الآية 25.
[280] سورة التوبة:الآية 18.
[281] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج1، ص269.

توجيه قول الإمامين:

ماذهب إليه ابن جرير من النصارى هم الذين خربوا بيت المقدس كلام لاغبار فيه، ولكن لايلزم حصر الآية عليهم، فإن مشركي قريش خربوا بيت الله الحرام، بالصدي عنها، وهذا مظهر من مظاهر الخراب، وعلى هذا فالقولين صائبين، وأن الآية عامة تشمل القولين.

الخلاصة:

1/ ليس بين القولين تعارض.

2/ الجمع بين القولين أولى.

الشاهد العاشر: قال تعالى:"حمالة الحطب "[282].

تحرير نقطة الخلاف:

يرجح ابن جرير كانت" تحمل الشوك"، فتطرحه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويرجح ابن كثير "حمالة الحطب" كانت تمشي بالنميمة "

حجة ابن جرير:

قال أبو جعفر:" وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي، قول من قال: كانت تحمل الشوك، فتطرحه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن ذلك هو أظهر معنى ذلك."[283].

حجة ابن كثير: ذكر ابن كثير في قوله تعالى:"حمالة الحطب" كانت تمشي بالنميمة، ثم ذكر القول الثاني وهي" كانت" تحمل الشوك"، فتطرحه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال:" والصحيح الأول، والله أعلم"[284].

---

[282] سورة المسد: الآيات 4.

[283] مصدر سابق، تفسير الطبري، ج24، ص680.

[284] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج8، ص115.

توجيه قول الإمامين:

ماذهب إليه ابن جرير من أنها كانت الشوك هذا أذنا حسيٍ، وماذهب إليه ابن كثير من أنها كانت تحمل النميمة أذنا معنوي، فيوم القيامة يأتي العقاب موافقا لفعلها، تحمل أوزارها الحسية والمعنوية جزاءا بما كسبت نكالا من الله.

الخلاصة:

1/ قول الإمامين لاتعارض بينها.

2/ الجمع بين القولين أولى من الترجيح.

المبحث الثالث: دلالات المعاني

الشاهد الأول: قال تعالى:"ثم رددناه أسفل سافلين"[285].

[285] سورة التين: الآية 5.

تحرير نقطة الخلاف:

يرجح ابن جرير رددناه إلى أرذل العمر عمر الخرفى، واعترض عليه ابن كثير محتجا بالسياق.

حجة ابن جرير:

قال أبو جعفر:" وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصحة، وأشبهها بتأويل الآية، قول من قال: معناه: ثم رددناه إلى أرذل العمر، إلى عمر الخرفى، الذين ذهبت عقولهم من الهرم والكبر، فهو في أسفل من سفل في إدبار العمر وذهاب العقل. وإنما قلنا: هذا القول أولى بالصواب في ذلك؛ لأن الله تعالى ذكره، أخبر عن خلقه ابن آدم، وتصريفه في الأحوال، احتجاجا بذلك على منكري قدرته على البعث بعد الموت، ألا ترى أنه يقول:"فما يكذبك بعد بالدين" يعني: بعد هذه الحجج.ومحال أن يحتج على قوم كانوا منكرين معنى من المعاني بما كانوا له منكرين. وإنما الحجة على كل قوم بما لا يقدرون على دفعه، مما يعاينونه ويحسونه، أو يقرون به، وإن لم يكونوا له محسين. وإذ كان ذلك كذلك، وكان القوم للنار– التي كان الله يتوعدهم بها في الآخرة– منكرين، وكانوا لأهل الهرم والخرف من بعد الشباب والجلد شاهدين، علم أنه إنما احتج عليهم بما كانوا له معاينين، من تصريفه خلقه، ونقله إياهم من حال التقويم الحسن والشباب والجلد، إلى الهرم والضعف وفناء العمر، وحدوث الخرف"[286].

حجة ابن كثير:

روي هذا عن ابن عباس، وعكرمة –حتى قال عكرمة: من جمع القرآن لم يرد إلى أرذل العمر. واختار ذلك ابن جرير، ولو كان هذا هو المراد لما حسن استثناء المؤمنين من ذلك؛ لأن الهرم قد يصيب بعضهم، وإنما المراد ما ذكرناه، كقوله:"والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات"[287] "[288].

---

[286] مصدر سابق، تفسير الطبري،ج24، ص510.

[287] سورة العصر:الآيات 1 -3

[288] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج8، ص435.

توجيه قول الإمامين:

ماذهب إليه ابن جرير أن المقصود الهرم فلايخلوا من نظر، لأن الله تعالى يخوف العباد أنهم بعد هذا الحسن والبهاء يردون إلى أرذل العمر، سيصلون نارا حامية ،فقال:"إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون"[289] كقوله تعالى:" والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصو بالحق وتواصو بالصبر"[290]

الخلاصة:

1/ قرينة الإستثناء التي احتج بها ابن كثير قوية جدا.

2/ أن الهرم الذي ذهب ابن جرير يحصل للمؤمنين ولغيرهم.

3/ الراجح قول ابن كثير.

الشاهد الثاني: قال تعالى:"ثم السبيل يسره"[291].

تحرير نقطة الخلاف:

رجح الإمام ابن جرير قول من قال "ثم يسر" يسر له خروجه من بطن أمه، ورجح الحافظ ابن كثير بينا له وأوضحناه وسهلنا عليه عمله كقوله تعالى: إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا"[292]

حجة ابن جرير:

قال أبو جعفر:" وأولى التأويلين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: ثم الطريق، وهو الخروج من بطن أمه يسره. إنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب، لأنه أشبههما بظاهر الآية، وذلك أن

[289] سورة التين: الآية 6.
[290] سورة العصر: الآيات 1ـــ3
[291] سورة عبس: الآية 20.
[292] سورة الإنسان:الآية 3

الخبر من الله قبلها وبعدها عن صفته خلقه وتدبيره جسمه، وتصريفه إياه في الأحوال، فالأولى أن يكون أوسط ذلك نظير ما قبله وما بعده"[293].

حجة ابن كثير:

ذكر ابن كثير قول العوفي عن ابن عباس: ثم يسر عليه خروجه من بطن أمه، ثم ذكر قول وقال مجاهد: هذه كقوله تعالى: إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا"[294] أي بيناه له وأوضحناه وسهلنا عليه عمله، وكذا قال الحسن وابن زيد، وهذا هو الأرجح والله أعلم"[295].

توجيه قول الإمامين:

ماذهب إليه ابن جرير من تأويل " يسر له خروجه من بطن أمه" هو إحدى المعاني للآية، وماذهب إليه ابن كثير من معاني التيسير أن بين له ويسر له عمل هو إحدى المعاني كذلك، وهذا من التفسير بالمثال، فالأول تيسير حسي، والآخر تيسير معنوي.

الخلاصة:

1/ ليس بين القولين تعارض.

2/ الجمع بين القولين أولى من الترجيح.

الشاهد الثالث: قال تعالى:"وثيابك فطهر"[296]

تحرير نقطة الخلاف:

---

[293] مصدر سابق،تفسير الطبري، ج24، ص224.

[294] سورة الإنسان:الآية 3

[295] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج8، ص323.

[296] سورة المدثر: الآية 4.

رجح ابن جرير"أغسل ثيابك بالماء"، ورجح ابن كثير أن الآية تشمل جميع أنواع الطهارة من الثياب، والبدن ، والقلب.

حجة ابن جرير:

قال أبو جعفر: قال محمد بن سيرين (وثيابك فطهر) قال: اغسلها بالماء. وهذا القول الذي قاله ابن سيرين وابن زيد في ذلك أظهر معانيه، والذي قاله ابن عباس، وعكرمة وابن زكريا قول عليه أكثر السلف من أنه عني به: جسمك فطهر من الذنوب، والله أعلم بمراده من ذلك"[297].

حجة ابن كثير:

قال ابن زيد: "كان المشركون لا يتطهرون فأمره الله أن يتطهر وأن يطهر ثيابه.

وهذا القول اختاره ابن جرير، وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب، فإن العرب تطلق الثياب عليه كما قال امرؤ القيس: [الطويل]

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل ... وإن كنت قد أزمعت هجري فأجملي

وإن تك قد ساءتك مني خليقة ... فسلي ثيابي من ثيابك تنسل[298]

توجيه قول الإمامين:

ماذهب إليه ابن جرير أن المعنى تطهير الثياب قول معتبر، وهو أحد أقوال السلف، ولكن مارجحه ابن كثيرأولى، حيث أنها تشمل كل أنواع الطهارة من الثياب، والبدن، والقلب.

الخلاصة:

1/ لاتعارض بين القولين.

[297] مصدر سابق، تفسير الطبري،ج23، ص12.

[298] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج8، ص270.

2/ ماذهب إليه ابن كثير أشمل.

3/ الراجح ماذهب ابن كثير.

الشاهد الرابع: قال تعالى:"ولا تمنن تستكثر"[299]

تحرير نقطة الخلاف:

رجح ابن جرير ولاتمنن على ربك فتستكثر أعمالك الصالحة، ورجح ابن كثير لاتعط العطية تلتمس أكثر منها.

حجة ابن جرير:

قال أبو جعفر:" وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب في ذلك قول من قال: معنى ذلك: ولا تمنن على ربك من أن تستكثر عملك الصالح. وإنما قلت ذلك أولى بالصواب، لأن ذلك في سياق آيات تقدم فيهن أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالجد في الدعاء إليه، والصبر على ما يلقى من الأذى فيه، فهذه بأن تكون من أنواع تلك، أشبه منها بأن تكون من غيرها"[300].

حجة ابن كثير:

ذكر الحافظ ابن كثير أربعة أقوال أولها " لا تعط العطية تلتمس أكثر منها" والأظهر القول الأول،" والله أعلم"[301].

توجيه قول الإمامين:

ماذهب إليه ابن جرير هو إمتنان على الله، وماذهب إليه ابن كثير إمتنان على الخلق، والصواب الجمع بين القولين، فإن الله تعالى نهى العباد على الامتنان بكل أنواعه.

---

[299] سورة المدثر: الآية 6.

[300] مصدر سابق، تفسير الطبري، ج23، ص16.

[301] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج8، ص273.

الخلاصة:

1/ لاتعارض بين القولين.

2/ الجمع بين القولين أجزل في المعنى.

3/ الراجح الجمع بين القولين.

الشاهد الخامس: قال تعالى:" ثلة من الأولين * وقليل من الآخرين"[302].

تحرير نقطة الخلاف:

رجح ابن جرير قول" جماعة من الأمم الماضية، وقليل من أمة محمد صلى الله عليه وسلم" وضعف ابن كثير هذا القول .

حجة ابن جرير:

قال أبو جعفر:"يقول تعالى ذكره: جماعة من الأمم الماضية، وقليل من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وهم الآخرون وقيل لهم الآخرون: لأنهم آخر الأمم"[303].

حجة ابن كثير:

ذكر ابن كثير القول الأول ثم قال "وهذا الذي اختاره ابن جرير هاهنا فيه نظر" بل هو قول ضعيف، لأن هذه الأمة هي خير الأمم بنص القرآن، فيبعد أن يكون المقربون في غيرها أكثر منها، اللهم إلا أن يقابل مجموع الأمم بهذه الأمة، والظاهر أن المقربين من هؤلاء أكثر من سائر الأمم والله أعلم"[304].

توجيه قول الإمامين:

---

[302] سورة الواقعة: الآية 14/13.

[303] مصدر سابق، تفسير الطبري، ج23، ص98.

[304] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج8، ص8.

ماذهب إليه ابن جرير قول لايخلوا من نظر، أما قول ابن كثير فتؤيده النصوص التي تدل أفضلية هذه الأمة.

الخلاصة:

1/ ماذهب إليه ابن كثير هو الراجح.

الشاهد السادس: قال تعالى:" ص والقرآن ذي الذكر"[305].

تحريرنقطة الخلاف:

يرجح ابن جرير"ذي التذكير" ويرجح ابن كثير أنها أشمل مما رجحه ابن جرير.

حجة ابن جرير:

قال أبو جعفر:" وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: ذي التذكير لكم، لأن الله أتبع ذلك قوله (بل الذين كفروا في عزة وشقاق) فكان معلوما بذلك أنه إنما أخبر عن القرآن أنه أنزله ذكرا لعباده ذكرهم به، وأن الكفار من الإيمان به في عزة وشقاق"[306].

حجة ابن كثير:

ولا منافاة بين القولين، فإنه كتاب شريف مشتمل على التذكير والإعذار والإنذار"[307].

توجيه قول الإمامين:

ماذهب إليه ابن جرير قول معتبر، وهو من أقوال السلف، ولكن ماذهب إليه ابن كثير من الجمع بين القولين أشمل وأجزل.

الخلاصة:

---

[305] سورة ص: الآيات 1–2.

[306] مصدر سابق، تفسير الطبري، ج21، ص140.

[307] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج7، ص51.

1/ ماذهب إليه ابن جرير قول معتبر ولكن لايلزم رد غيره.

2/ لاتعارض بين القولين.

3/ مارجحه ابن كثير أولى وهو الجمع بين القولين.

الشاهد السابع: قال تعالى:"أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين"[308].

تحرير نقطة الخلاف:

رجح ابن جرير قول"أفنضرب عنكم العذاب ونعرض عنكم لعنادكم" ورجح ابن كثير قول"أن الله تعالى بلطفه لايترك دعائهم إلى الخير من إرسال الرسل وغيره"

حجة ابن جرير:

قال أبو جعفر:"وأولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من تأوله: أفنضرب عنكم العذاب فنترككم ونعرض عنكم، لأن كنتم قوما مسرفين لا تؤمنون بربكم. وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية، لأن الله تبارك وتعالى أتبع ذلك خبره عن الأمم السالفة قبل الأمم التي توعدها بهذه الآية في تكذيبها رسلها، وما أحل بها من نقمته، ففي ذلك دليل على أن قوله:"أفنضرب عنكم الذكر صفحا" وعيد منه للمخاطبين به من أهل الشرك، إذ سلكوا في التكذيب بما جاءهم عن الله رسولهم مسلك الماضين قبلهم"[309].

حجة ابن كثير:

وقول قتادة لطيف المعنى جدا، وحاصله أنه يقول في معناه إنه تعالى من لطفه ورحمته بخلقه لا يترك دعاءهم إلى الخير وإلى الذكر الحكيم وهو القرآن، وإن كانوا مسرفين معرضين عنه بل أمر به ليهتدي به من قدر هدايته، وتقوم الحجة على من كتب شقاوته"[310].

---

[308] سورة الزخرف: الآية 5.

[309] مصدر سابق، تفسير الطبري،ج21، ص 568.

[310] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج7، ص200.

توجيه قول الإمامين:

ماذهب إليه الإمامين تأويل للآية، فإن الله تعالى مع علمه بإعراضهم فإنه لايذهب عنهم العذاب، لأن الله تعالى لم يخلقهم سُدى ، ومن أجل يرسل إليهم الرسل وينزل عليهم الكتاب، ويوفق المصلحين لهدايتهم.

الخلاصة:

1/ لاتعارض بين القولين.

2/ الجمع بين القولين أجزل في المعنى.

3/ الراجح الجمع بين القولين.

الشاهد الثامن: قال تعالى:" بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون"[311].

تحرير نقطة الخلاف:

يرجح ابن جرير قول" بل العلم بأنك ماكنت تتلوا قبل هذا الكتاب كتابا آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم" ورجح ابن كثير" أن القرآن آيات واضحات يسر الله حفظه وتلاوته وتفسيره"

حجة ابن جرير:

قال أبو جعفر:"وأولى القولين في ذلك بالصواب، قول من قال: عنى بذلك: بل العلم بأنك ما كنت تتلو من قبل هذا الكتاب كتابا، ولا تخطه بيمينك، آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب.وإنما قلت ذلك أولى التأويلين بالآية؛ لأن قوله:"بل هو آيات بينات في صدور الذين

[311] سورة العنكبوت: الآية49.

أوتوا العلم" بين خبرين من أخبار الله عن رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فهو بأن يكون خبرا عنه، أولى من أن يكون خبرا عن الكتاب الذي قد انقضى الخبر عنه قبل"[312].

حجة ابن كثير:

هذا القرآن آيات بينة واضحة في الدلالة على الحق، أمرا ونهيا وخبرا، يحفظه العلماء، يسره الله عليهم حفظا وتلاوة وتفسيرا، كما قال تعالى:"ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر"[313] ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من نبي إلا وقد أعطي ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا".وفي حديث عياض بن حمار، في صحيح مسلم: "يقول الله تعالى: إني مبتليك ومبتل بك، ومنزل عليك كتابا لا يغسله الماء، تقرؤه نائما ويقظان" . أي: لو غسل الماء المحل المكتوب فيه لما احتيج إلى ذلك المحل، كما جاء في الحديث الآخر: "لو كان القرآن في إهاب، ما أحرقته النار" ، لأنه محفوظ في الصدور، ميسر على الألسنة، مهيمن على القلوب، معجز لفظا ومعنى؛ ولهذا جاء في الكتب المتقدمة، في صفة هذه الأمة: "أناجيلهم في صدورهم وحكى عن الحسن البصري فقط. قلت: وهو الذي رواه العوفي عن عبد الله بن عباس، وقاله الضحاك، وهو الأظهر، والله أعلم. "[314].

توجيه قول الإمامين:

ماذهب إليه ابن جريرقول واضح الدلالة ويؤيد السياق القرآني حيث كان الكلام في أمية النبي صلى الله عليه وسلم، أما ماذهب إليه ابن كثير لايعارض قول ابن جرير، ولكن ماذهب إليه ابن جرير يدخل دخولا أوليا في تأويل الآية، وماذهب إليه ابن كثير يدخل في معنى عموم الآية.

الخلاصة:

1/ ماذهب إليه ابن جرير يدخل دخولا أوليا.

---

[312] مصدر سابق، تفسير الطبري،ج20،ص52.

[313] سورة القمر:الآية 17.

[314] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج6، ص287.

2/ لاتعارض بين القولين.

3/ الجمع بين القولين أولى.

الشاهد التاسع: قال تعالى:" واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين"[315].

تحرير نقطة الخلاف:

يرجح ابن جرير أن الضمير عائد على الصلاة، ويرجح ابن كثير أنه عائد على مادل عليه الكلام وهي الوصية.

حجة ابن جرير:

قال أبو جعفر:" يعني بقوله جل ثناؤه:"وإنها"، وإن الصلاة، ف"الهاء والألف" في"وإنها" عائدتان على"الصلاة". وقد قال بعضهم: إن قوله:"وإنها" بمعنى: إن إجابة محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يجر لذلك بلفظ الإجابة ذكر فتجعل"الهاء والألف" كناية عنه، وغير جائز ترك الظاهر المفهوم من الكلام إلى باطن لا دلالة على صحته"[316].

حجة ابن كثير:

بعد أن ذكر ابن كثير القول الأول قال " ويحتمل أن يكون عائدا على ما يدل عليه الكلام، وهو الوصية بذلك، كقوله تعالى في قصة قارون:"وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون"[317] وقال تعالى:"ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم * وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها

[315] سورة البقرة: الآية45.

[316] مصدر سابق، تفسير الطبري،ج1، ص15.

[317] سورة القصص:الآية 80.

إلا ذو حظ عظيم" أي: وما يلقى هذه الوصية إلا الذين صبروا {وما يلقاها" أي: يؤتاها ويلهمها "إلا ذو حظ عظيم}"[318].

توجيه قول الإمامين:

ماذهب إليه ابن جرير أن الضمير عائد على الصلاة قول لاغبار فيه، وماذهب إليه ابن كثير قول محتمل، ولاتعارض بين القولين.

الخلاصة:

1/ ماذهب إليه ابن جرير يدخل دخولا أوليا.

2/ قول ابن كثير قول محتمل.

3/ الجمع بين القولين أولى من الترجيح.

الشاهد العاشر: قال تعالى:" يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا "[319].

تحرير نقطة الخلاف:

رجح ابن جريرأن ذلك من قيل المجرمين للملائكة، ورجح ابن كثير أنه من قيل الملائكة للمجرمين.

حجة ابن جرير:

. قال أبو جعفر: ذلك خبر من الله عن قيل المشركين إذا عاينوا الملائكة.وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في تأويل ذلك من أجل أن "الحجر" هو الحرام، فمعلوم أن الملائكة هي التي تخبر أهل

[318] مصدرسابق، تفسير ابن كثير، ج1، ص253.

[319] سورة الفرقان: الآية 22.

الكفر أن البشرى عليهم حرام. وأما الاستعاذة فإنها الاستجارة، وليست بتحريم، ومعلوم أن الكفار لا يقولون للملائكة حرام عليكم، فيوجه الكلام إلى أن ذلك خبر عن قيل المجرمين للملائكة"[320].

حجة ابن كثير:

ذكر بن كثير القولين الأول منهم "أن هذا كلام الملائكة في وقت الإحتضار للمجرمين " وأيد ذلك بنصوص فقال" يصدق على وقت الاحتضار حين تبشرهم الملائكة بالنار، والغضب من الجبار، فتقول الملائكة للكافر عند خروج روحه، اخرجي أيتها النفس الخبيثة في الجسد الخبيث، اخرجي إلى سموم وحميم وظل من يحموم، فتأبى الخروج وتتفرق في البدن فيضربونه، كما قال الله تعالى: ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم"[321]، وقال تعالى:" ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أي بالضرب أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون"[322]. ولهذا قال في هذه الآية الكريمة يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين وهذا بخلاف حال المؤمنين حال احتضارهم، فإنهم يبشرون بالخيرات، وحصول المسرات، قال الله تعالى: "إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم"[323] وفي الحديث الصحيح عن البراء بن عازب: أن الملائكة تقول لروح المؤمن: اخرجي أيتها النفس الطيبة في الجسد الطيب إن كنت تعمرينه، اخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان. وقد تقدم الحديث في سورة إبراهيم عند قوله تعالى:"يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء"[324]. ثم ذكر القول الثاني الذي يقول " أن الملائكة تقولها للمجرمين يوم القيامة" ثم قال" ولا منافاة بين

---

[320] مصدر سابق، تفسير الطبري، ج19، ص256.

[321] سورة الأنفال:الآية50.
[322] سورة الأنعام:الآية 93.
[323] سورة فصلت:الآيات 30- 32.
[324] سورة إبراهيم:الآية 27.

هذا وما تقدم، فإن الملائكة في هذين اليومين: يوم الممات ويوم المعاد، تتجلى للمؤمنين وللكافرين، فتبشر المؤمنين بالرحمة والرضوان، وتخبر الكافرين بالخيبة والخسران، فلا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا أي وتقول الملائكة للكافرين: حرام محرم عليكم الفلاح اليوم"[325].

توجيه قول الإمامين:

ماذهب إليه الإمامين متقارب، فإن العرب تستخدم كلمة" حجرا محجورا" على المعنيين ، فإذا قيل لك " حجرا محجورا" تعلم أنك محروم تحريما مأبدا، وتستخدم للإستعاذة كذلك، فيصبح المعنى أن الملائكة تكلمهم توبيخا لهم أن الجنة محرمة عليهم، والمجرمون يستعيذون من هذا الحال ولامعيذ لهم، بل يقال لهم إخسأوا فيها ولاتكلمون.

الخلاصة:

1/ لاتعارض بين القولين.

2/ الجمع بين القولين أجزل في المعنى.

3/ الجمع بين القول أولى من الترجيح.

الشاهد الحادي عشر: قال تعالى:" وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا في شك مريب" [326].

تحرير نقطة الخلاف:

رجح ابن جرير أنه حيل بينهم وبين الإيمان، ورجح ابن كثير أنه أشمل من هذا القول.

حجة ابن جرير:

[325] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج6، ص92.
[326] سورة سبأ: الآية 54.

قال أبو جعفر:" يقول تعالى ذكره: وحيل بين هؤلاء المشركين حين فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب، فقالوا: آمنا به"وبين ما يشتهون" حينئذ من الإيمان بما كانوا به في الدنيا قبل ذلك يكفرون، ولا سبيل لهم إليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك؛ لأن القوم إنما تمنوا حين عاينوا من عذاب الله ما عاينوا، ما أخبر الله عنهم أنهم تمنوه، وقالوا آمنا به فقال الله: وأنى لهم تناوش ذلك من مكان بعيد، وقد كفروا من قبل ذلك في الدنيا. فإذا كان ذلك كذلك فلأن يكون قوله"وحيل بينهم وبين ما يشتهون" خبرا عن أنه لا سبيل لهم إلى ما تمنوه أولى من أن يكون خبرا عن غيره"[327].

حجة ابن كثير:

ذكر الحافظ ابن كثير الأقوال ثم قال "والصحيح أنه لا منافاة بين القولين، فإنه قد حيل بينهم وبين شهواتهم في الدنيا وبين ما طلبوه في الآخرة فمنعوا منه"[328].

توجيه قول الإمامين:

ماذهب إليه ابن جرير قول معتبر، ولكن ماذهب ابن كثيرهو الأقرب، لأنهم حيل وبين الإيمان، وحيل بينهم وبين التوبة، وحيل بينهم شهوات الدنيا.

الخلاصة:

1/ لاتعارض بين القولين.

2/ ماذهب إليه ابن كثير أشمل.

[327] مصدر سابق،تفسير الطبري، ج20، ص431.

[328] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج6، ص529.

الشاهد الثاني عشر: قال تعالى:" وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين"[329].

تحرير نقطة الخلاف:

قد اختلف المفسرون في هذا المقام: هل هو مقام نظر أو مناظرة؟ فرجح الإمام ابن جرير أنها مقام نظر، ورجح الحافظ ابن كثير أنها مقام مناظرة.

حجة ابن جرير:

قال أبو جعفر:"وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب، قول من قال: عنى الله تعالى ذكره بقوله:"وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض"، أنه أراه ملك السماوات والأرض، وذلك ما خلق فيهما من الشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب وغير ذلك من عظيم سلطانه فيهما، وجلى له بواطن الأمور وظواهرها، لما ذكرنا قبل من معنى"الملكوت"، في كلام العرب، فيما مضى قب"[330].

حجة ابن كثير:

والحق أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، كان في هذا المقام مناظرا لقومه، مبينا لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام، فبين في المقام الأول مع أبيه خطأهم في عبادة الأصنام الأرضية، التي هي على صور الملائكة السماوية ليشفعوا لهم إلى الخالق العظيم، الذين هم عند أنفسهم أحقر من أن يعبدوه، وإنما يتوسلون إليه بعبادة ملائكته، ليشفعوا لهم عنده في الرزق والنصر، وغير ذلك مما يحتاجون إليه. وكيف يجوز أن يكون إبراهيم ناظرا في هذا المقام. وهو الذي قال الله في حقه ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون"[331] ،وقال تعالى: إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من

---

[329] سورة الأنعام : الآية 75.

[330] مصدر سابق، تفسير الطبري، ج11، ص475.

[331] سورة الأنبياء:الآيات 51- 52.

المشركين شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين"[332] وقال تعالى: قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين"[333].وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "كل مولود يولد على الفطرة" وفي صحيح مسلم، عن عياض بن حماد، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "قال الله إني خلقت عبادي حنفاء" وقال الله في كتابه العزيز فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله"[334][335].

توجيه قول الإمامين:

ماذهب إليه ابن جرير أن المقام مقام نظر له وجه، وماذهب إليه ابن كثير كذلك، فإن الآيات أولها تدل على النظر، وأواخر الآيات يدل على المناظرة وبهذا نجمع بين القولين.

الخلاصة:

1/ معاني الآيات الكريمة تشمل المعنيين جميعا.

2/ الآيات الأولى كانت في النظر ثم تحولت إلى مناظرة.

الشاهد الثالث عشر: قال تعالى:" يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم"[336].

تحرير نقطة الخلاف:

رجح ابن جرير أن المعنيون بالآية أهل الكتاب، ورجح ابن كثير أن المعنيون هم هذه الأمة.

---

[332] سورة النحل:الآيات 120- 123.

[333] سورة الأنعام:الآية 161.

[334] سورة الروم:الآية 30.

[335] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج3، ص256/ 258.

[336] سورة الحديد: الآية28.

حجة ابن جرير:

قال أبو جعفر: في قوله:"يؤتكم كفلين من رحمته"، يعطكم ضعفين من الأجر، لإيمانكم بعيسى صلى الله عليه وسلم، والأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم، ثم إيمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم حين بعث نبيا. وأصل الكفل: الحظ، وأصله: ما يكتفل به الراكب، فيحبسه ويحفظه عن السقوط؛ يقول: يحصنكم هذا الكفل من العذاب، كما يحصن الكفل الراكب من السقوط. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل"[337].

حجة ابن كثير:

قال أبو جعفر:"وهذه الآية كقوله تعالى:"يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم"[338]. وقال سعيد بن عبد العزيز: سأل عمر بن الخطاب حبرا من أحبار يهود: كم أفضل ما ضعفت لكم حسنة؟ قال: كفل ثلاثمائة وخمسون حسنة. قال: فحمد الله عمر على أنه أعطانا كفلين."ثم" ذكر سعيد قول الله، عز وجل:"يؤتكم كفلين من رحمته"قال سعيد: والكفلان في الجمعة مثل ذلك. رواه ابن جرير. ومما يؤيد هذا القول ما رواه الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا أيوب عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالا فقال: من يعمل لي من صلاة الصبح إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ ألا فعملت اليهود. ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟ ألا فعملت النصارى. ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر إلى غروب الشمس على قيراطين قيراطين؟ ألا فأنتم الذي عملتم. فغضبت النصارى واليهود، وقالوا: نحن أكثر عملا وأقل عطاء. قال: هل ظلمتكم من أجركم شيئا؟ قالوا: لا. قال: فإنما هو فضلي أوتيه من أشاء"[339].

---

[337] مصدر سابق، تفسير الطبري، ج23، ص208

[338] سورة الأنفال:الآية 29.

[339] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج8، ص32.

توجيه قول الإمامين:

ماذهب إليه ابن جرير أنهم أهل الكتاب قول ليس ببعيد، وماذهب إليه ابن كثير أنهم هذه الأمة قول أقرب للصواب، وتؤيده سياق أول الآية وآخرها.

الخلاصة:

1/ القولان معتبران.

2/ لاتعارض بين القولان.

3/ الجمع بين القولين أولى.

الشاهد الرابع عشر: قال تعالى:"فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم " [340].

تحرير نقطة الخلاف:

رجح ابن جرير أن الآية عنت الأشهر الحرم الأربعة، اما ابن كثير فإنه رجح أنها تعنى أشهر التسيير الأربعة.

حجة ابن جرير :

قال أبو جعفر: "ويعني بـ "الأشهر الحرم"، ذا القعدة، وذا الحجة، والمحرم. وإنما أريد في هذا الموضع انسلاخ المحرم وحده، لأن الأذان كان ببراءة يوم الحج الأكبر. فمعلوم أنهم لم يكونوا أجلوا الأشهر الحرم كلها = وقد دللنا على صحة ذلك فيما مضى = ولكنه لما كان متصلا بالشهرين الآخرين قبله الحرامين، وكان هو لهما ثالثا، وهي كلها متصل بعضها ببعض، قيل:

[340] سورة التوبة: الآية 5.

"فإذا انسلخ الأشهر الحرم"، ومعنى الكلام: فإذا انقضت الأشهر الحرم الثلاثة عن الذين لا عهد لهم، أو عن الذين كان لهم عهد فنقضوا عهدهم بمظاهرتهم الأعداء على رسول الله وعلى أصحابه، أو كان عهدهم إلى أجل غيره معلوم"[341].

حجة ابن كثير:

اختلف المفسرون في المراد بالأشهر الحرم هاهنا، ما هي؟ فذهب ابن جرير إلى أنها"الأربعة" المذكورة في قوله تعالى:"منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم"[342] ، وفيه نظر، والذي يظهر من حيث السياق ما ذهب إليه ابن عباس في رواية العوفي عنه، وبه قال مجاهد، وعمرو بن شعيب، ومحمد بن إسحاق، وقتادة، والسدي، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: أن المراد بها أشهر التسيير الأربعة المنصوص عليها في قوله:"فسيحوا في الأرض أربعة أشهر" [343]ثم قال "فإذا انسلخ الأشهر الحرم" أي: إذا انقضت الأشهر الأربعة التي حرمنا عليكم فيها قتالهم، وأجلناهم فيها، فحيثما وجدتموهم فاقتلوهم؛ لأن عود العهد على مذكور أولى من مقدر؛ ثم إن الأشهر الأربعة المحرمة سيأتي بيان حكمها في آية أخرى بعد في هذه السورة الكريمة"[344].

توجيه قول الإمامين:

ماذهب إليه ابن كثير في الآية هو الأصوب لأن الأشهر الحرم الأربعة ذكرها الله في آيات مستقلة، أما هذه فهي أشهر التسيير، والأشهر الحرم الأربعة لم تكن ممتالية، والإنسلاخ لايكون إلا من شيئ متتال.

الخلاصة:

1/ ماذهب إليه ابن كثير هو الأقرب للصواب.

---

[341] مصدر سابق، تفسير الطبري، ج14، ص134.

[342] سورة التوبة:الآية 36.
[343] سورة التوبة:الآية 2.
[344] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج4، ص111.

الشاهد الخامس عشر: قال تعالى:" فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب"[345].

تحرير نقطة الخلاف:

رجح ابن جرير أن سلمان عليه الصلاة والسلام مسحها بيده حبا لها، أما ابن كثير فيعني عقرها.

حجة ابن جرير:

قال أبو جعفر: "حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله "فطفق مسحا بالسوق والأعناق" يقول: جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها: حبا لها. وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس أشبه بتأويل الآية، لأن نبي الله صلى الله عليه وسلم لم يكن إن شاء الله ليعذب حيوانا بالعرقبة، ويهلك مالا من ماله بغير سبب، سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنطر إليها، ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر إليها"[346].

حجة ابن كثير:

قال ابن كثير في قوله تعالى "فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ذكر غير واحد من السلف والمفسرين أنه اشتغل بعرضها حتى فات وقت صلاة العصر والذي يقطع به أنه لم يتركها عمدا بل نسيانا كما شغل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق عن صلاة العصر حتى صلاها بعد الغروب وذلك ثابت في الصحيحين من غير وجه من ذلك عن جابر رضي الله عنه قال جاء عمر رضي الله عنه يوم الخندق بعد ما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش ويقول يا رسول الله ما كدت أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والله ما صليتها"فقال: فقمنا إلى بطحان فتوضأ نبي الله صلى الله عليه وسلم للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب .ويحتمل

[345] سورة ص: الآية 32.

[346] مصدر سابق، تفسير الطبري،ج21، ص196.

أنه كان سائغا في ملتهم تأخير الصلاة لعذر الغزو والقتال، والخيل تراد للقتال وقد ادعى طائفة من العلماء أن هذا كان مشروعا فنسخ ذلك بصلاة الخوف، وهذا القول اختاره ابن جرير قال: لأنه لم يكن ليعذب حيوانا بالعرقبة ويهلك مالا من ماله بلا سبب سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها ولا ذنب لها وهذا الذي رجح به ابن جرير فيه نظر لأنه قد يكون في شرعهم جواز مثل هذا ولا سيما إذا كان غضبا لله تعالى بسبب أنه اشتغل بها حتى خرج وقت الصلاة ولهذا لما خرج عنها لله تعالى عوضه الله عز وجل ما هو خير منها وهي الريح التي تجري بأمره رخاء حيث أصاب غدوها شهر ورواحها شهر فهذا أسرع وخير من الخيل"[347].

توجيه قول الإمامين:

ماذهب إليه ابن كثير أقرب للصواب لأن سياق الآيات يوافق هذا الرأي قال الشوكاني:" القول بانه قطع سيقانها، ورقابها أولى بسياق الكلام، لأنه ذكر أنه آثرها على ذكر ربه ثم أمرهم بردها ليعاقبها"[348] وكذلك هو قول أكثر المفسرين كما ذكر غير واحد من المفسرين.

الخلاصة:

1/ القولان من أقوال السلف.

2/ القولان سائقان من حيث العربية.

3/ ماذهب إليه ابن كثير يؤيده السياق.

4/ الراجح ماذهب إليه ابن كثير.

[347] مصدر سابق، تفسير ابن كثير، ج7، ص54.
[348] مصدر سابق، فتح القدير، ج4، ص496.

النتائج:

1/ منهج الإمامين متقارب في التفسير.

2/ عدد ترجيحات ابن جرير التي استدرك عليها ابن كثير أربعون ترجيحا.

3/ الحافظ ابن كثير لم يسهوا في نقله الترجيحات عن ابن جرير إلا في موضع واحد.

4/ ترجيحات ابن جرير التي يوافقه فيها ابن كثير أكثر من التي خالفه فيها.

التوصيات:

1/ الاهتمام بكتب التفسير بالمأثور دراسة وتحقيقا.

2/ أقترح عنوان موافقات ابن كثير لابن جرير من خلال تفسير القرآن العظيم.

3/ أحث المؤسسات العلمية ودور النشر بطباعة كتب أصول التفسير.

الفهرسة:

فهرسة الآيات

فهرسة الآثار

فهرسة المصادر والمراجع

فهرسة الموضوعات

فهرس الآيات

	سورة البقرة		
1	وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ	31	88
2	وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِين	45	113
3	قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ	71	90
4	أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ	75	92
5	وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ	102	65
6	وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا	114	97
7	وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَة	118	93
8	نَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ	119	48
9	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ	126	21
10	وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ	149	66
11	وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً	171	95
12	يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ	219	18
13	ا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ	225	23
14	وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ	227	34
	سورة آل عمران		
15	وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ	146	18
	سورة النساء		
16	ولَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ	12	20
17	وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ	33	25

18	وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ	38	44
19	وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا	128	19
	سورة الأنعام		
20	وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ	75	115
21	وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ	93	115
22	وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ	124	94
23	وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ	141	32
24	قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ	161	119
	سورة الأعراف		
25	وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ	10	20
26	يابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ	31	77
27	وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ	44	85
28	حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ	105	60
29	قَالَ يَامُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي	144	93
30	وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ	179	
	سورة الأنفال		
31	فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ	17	71
32	يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا	29	120
33	وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ	34	99
34	وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ	50	115
	سورة التوبة		
35	فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ	5	121
36	مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ	17	99
37	إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ	19	
38	قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ	29	44
39	إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا	36	122
	سورة يونس		

40	فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ	83	58
	سورة هود		
41	حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ	40	60
	سورة ابراهيم		
42	يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ	27	115
	سورة النحل		
43	إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا	120	119
44	مَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا	123	119
	سورة الإسراء		
45	أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ	93	20 ,94
	سورة الكهف		
46	سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ	22	22
	سورة الأنبياء		
47	وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ	51	118
48	إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ	52	118
	سورة الحج		
49	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ	18	69
50	وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ	48	21
51	وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ	55	84
52	يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ	76	64
	سورة المؤمنون		
53	مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ	67	54
54	قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ	83	54
	سورة النور		
55	وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ	45	89
	سورة الفرقان		
56	يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ	22	114
57	وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ	53	81

	سورة النمل		
58	أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا	61	82
	سورة القصص		
59	وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ	68	61
60	وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ	69	
61	وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا	80	113
62	تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا	83	72
	سورة العنكبوت		
63	بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ	49	111
	سورة الروم		
64	فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا	30	119
	سورة الأحزاب		
65	مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ	4	37
66	ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ	5	28
67	وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ	36	63
	سورة سبأ		
68	يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ	13	60
69	وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ	54	116
	سورة فاطر		
70	وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ	37	85
	سورة يس		
71	لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ	35	70
	سورة الصافات		
72	وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ	107	
	سورة ص		
73	ص والقرآن ذي الذكر	1	109
74	بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ	2	109

75	فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي	32	
	سورة فصلت		
76	قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ	6	43
77	الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ	7	43
78	إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا	30	115
79	نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ	32	115
	سورة الزخرف		
80	أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ	5	110
	سورة الفتح		
81	سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا	15	99
	سورة القمر		
82	وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ	17	112
83	سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ	45	46
	سورة الرحمن		
84	وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ	6	68
85	مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ	19	81
86	بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ	20	81
87	يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ	22	82
	سورة الواقعة		
88	ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ	13/14	108
	سورة الحديد		
89	يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ	28	119
	سورة المجادلة		
90	الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ	2	38
	سورة القلم		
91	إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ	17	32
92	كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ	33	
	سورة المعارج		

93	وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ	24	78
94	لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ	25	78
	سورة الإنسان		
95	إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا	3	104
	سورة عبس		
96	ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ	20	104
	سورة التكوير		
97	وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ	17	67
98	وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ	24	52
	سورة الفجر		
99	فَادْخُلِي فِي عِبَادِي	29	51
	سورة التين		
100	ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ	5	103
	سورالمسد		
101	وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ	4	100

فهرسة الآثار

الرقم المسلسل	أطراف الآثار	رقم الصفحة
1	كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجري الأنصاري	25
2	كل جاد عشرة أوسق من التمر بقنو يعلق في المسجد	32
3	إن الله تبارك وتعالى خيرني بين أن يغفر لنصف أمتي، وبين أن يجيب شفاعتي	37
4	يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله	40
5	يا ليت شعري ما فعل أبواي	48
6	النجم ما انبسط على وجه الأرض	68
7	كانوا يعطون يوم الحصاد شيئا، ثم تسارفوا	75
8	لا تعطوا أموالكم فتغدوا فقراء	79
9	إذا كان يوم القيامة، قيل: أين أبناء الستين؟	68
10	من عمره الله ستين فقد أعذر إليه في العمر	87
11	لقد أعذر الله عز وجل في العمر إلى صاحب الستين والسبعين	87
12	"فذبحوها وما كادوا يفعلون" لكثرة ثمنها	90

فهرسة المصادر والمراجع

1. الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم،المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر، قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت.
2. الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر، قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت.
3. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، عبد الملك القسطلاني، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرة، ط: السابعة، 1323هـ.
4. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي ،الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، عام النشر : 1415 هـ - 1995مـ.
5. أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي الرومي الحنفي، المحقق: يحيى حسن مراد، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: الأولى ،2004م-1424هـ.
6. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ،المحقق: علي شيري،الناشر: دار إحياء التراث العربي،ط: الأولى 1408، هـ – 1988 م.
7. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ،المحقق: عمر عبد السلام التدمري،الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت،الطبعة: الثانية، 1413 هـ – 1993م.
8. التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، المحقق : علي محمد البجاوي، الناشر:عيسى البابي الحلبي وشركاه.
9. تحفة الأسير في قواعد التفسير، عبد الرحمن السديس.
10. تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، الناشر: دار ابن حزم،ط: االثانية 1416هـ – 1996م.
11. تذكرة الحفاظ، شمس الدين أبو عبد الله الذهبي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت– لبنان،ط:الأولى، 1419هـ– 1998م.

12. التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي، م ح: عبد الله الخالدي، الناشر: دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط: الأولى، 1416هـ.
13. تفسير القرآن العظيم ،ابن كثير،المحقق: محمد حسين شمس الدين،الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت،ط: الأولى – 1419 هـ.
14. تمام المنة في التعليق على فقه السنة، الألباني الناشر: دار الراية،ط: الخامسة
15. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج،المزي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت،ط: الأولى، 1400 – 1980.
16. الحجة للقراء السبعة،الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي ، المحقق: بدر الدين قهوجي – بشير جويجابي، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق / بيروت، ط: الثانية، 1413 هـ – 1993م.
17. دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض،الطبعة: الثانية، 1423هـ – ،2003م.
18. ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد،محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (المتوفى: 832هـ)،المحقق: كمال يوسف الحوت،الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1410هـ/1990م.
19. الروض المعطار في خبر الأقطار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى،المحقق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت – طبع على مطابع دار السراج،ط: الثانية، 1980 م.
20. السبعة في القراءات، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي، المحقق: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف – مصر، ط: الثانية، 1400هـ.
21. السَّلسَبِيلُ النَّقِي في تَرَاجِمِ شيُوخ البَيهَقِي، أبو الطيب نايف بن صلاح بن علي المنصوري، الناشر: دَارُ العَاصِمَة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، 1432 هـ – 2011 م.
22. السنة، أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل، المحقق: د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، الناشر: دار ابن القيم – الدمام، ط: الأولى، 1406 هـ - 1986م.
23. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: 1089هـ)،حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد

القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1986 م.
24. شرح صحيح البخارى لابن بطال،برقم حديث 201، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم
25. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، الناشر: محمد علي بيضون، ط: الأولى 1418هـ-1997م.
26. ضعيف أبي داود – الأم، الألباني، دار النشر : مؤسسة غراس للنشر و التوزيع – الكويت، ط: الأولى - 1423هـ.
27. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي ،الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت.
28. طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة ، المحقق: د. الحافظ عبد العليم خان، دار النشر: عالم الكتب – بيروت، ط: الأولى، 1407 هـ.
29. طبقات المفسرين للداوودي، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
30. الطرق الحكمية، ابن القيم الجوزية ، الناشر: مكتبة دار البيان.
31. غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف ، الناشر: مكتبة ابن تيمية،ط: عني بنشره لأول مرة عام 1351هـ ج. برجستراسر.
32. قواعد التفسير، خالد السبت،درا ابن عفان للنشر والتوزيع و دار ابن القيم للطبع والنشر، ط: الأولى، ت.ط: 1434ه/2013م.
33. قوعد الترجيح عند المفسرين، حسين بن على الحربي، دار القاسم، ط: الأولى، 1417هـ ، 1996م
34. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة - 1407 هـ.

35. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي،المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: 1414 هـ، 1994م.
36. محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، م ح: محمد باسل، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط:الأولى، 1418هـ .
37. معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، المحقق : عبد الرزاق المهدي، الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط: الأولى ، 1420هـ
38. معاني القراءات للأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، الناشر: مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، 1412 هـ - 1991م.
39. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج،المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، ط: الأولى 1408 هـ - 1988م.
40. معجم الأدباء ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ،المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: الأولى، 1414 هـ - 1993 م
41. معجم المفسرين، عادل نويهض، قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالدالناشر: مؤسسة نويهض، الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان،ط: الثالثة، 1409 هـ - 1988 م.
42. معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ، محمد محمد محمد سالم محيسن (المتوفى: 1422هـ)،الناشر: دار الجيل – بيروت،ط: الأولى، 1412 هـ - 1992 م.
43. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي، عالم الكتب، بيروت،ط: الثالثة، 1403 هـ.
44. المعين في المسير لمبتغى قوعد التفسير، سيد محمد بن محمد المختار الشنقيطي.
45. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
46. الموافقات، الشاطبي ،المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان ،ط: الأولى 1417هـ/ 1997م

47. نثر العبير في منظومة قواعد التفسير، أبي الفض عمر بن مسعود الحدوثى.
48. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.
49. النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، أحمد محمد بن علي بن محمد الكَرَجي القصَّاب، تحقيق: إبراهيم بن منصور الجنيدل، دار النشر: دار القيم - دار ابن عفان، ط: الأولى 1424 هـ - 2003م.
50. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي ،المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت،عام النشر:1420هـ-2000م.

	فهرس الموضوعات	
1	**الفصل الأول: التعريف بالإمامين**	*23ـ1*
2	المبحث الأول: التعريف بالإمام ابن جرير	7ـ1
3	المبحث الثاني: التعريف بالإمام ابن كثير	15ـ8
4	المبحث الثالث: منهج الإمامين	23ـ16
5	**الفصل الثاني: الاستدركات على ترجيحات علوم القرآن**	55ـ24
6	المبحث الأول: الناسخ والمنسوخ	35ـ24
7	المبحث الثاني: أسباب النزول	47ـ36
8	المبحث الثالث: القراءات	55ـ48

9	**الفصل الثالث: الاستدراكات على ترجيحات علم التفسير**	125ـ56
10	البحث الأول: اللغة العربية	79ـ56
11	المبحث الثاني: دلالات الألفاظ	101ـ80
12	المبحث الثالث: دلالات المعاني	125ـ102
13	الفهرســــــــــــة	138ـ126
14	فهرسة الآيات	132ـ126
15	فهرسة الآثار	133
16	فهرسة المصادر والمراجع	138ـ134